تاريخ جريمة
شهادة شاهد عيان
-- الجزء الأول--

فيكتور هوجو

ترجمة: جابر القصاص

مقدمة الترجمة

لا شك أن رواية تاريخ جريمة التي صدر الجزء الأول منها عام ١٨٧٧م تعدّ واحدة من أهم وألمع أعمال فيكتور هوجو (Victor Hugo) الإبداعية، كما أنها تعد وثيقة سياسية هامة للغاية تتناول حدثًا خطيرًا من أهم وأخطر وقائع التاريخ الفرنسي المعاصر، وهو الانقلاب الفرنسي الذي دبره وقاده لويس بونابرت في الثاني من ديسمبر عام ١٨٥١م، بحجة رغبته في تنفيذ برنامجه الإصلاحي، وكان هوجو شاهد عيان على أحداثه، وجاءت رواية – المكونة من جزءين – تستعرض وقائع وتفاصيل ذلك الانقلاب بصياغة أدبية فريدة، تمزج بين السياق التأريخي للأحداث، وبين الصياغة الأدبية الرصينة والماتعة التي تجذب القارئ لتقحمه في غمار الأحداث، كأنه يراها أمامه رأي العين.

إن فكتور هوجو واحد من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية، وتُرجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة، وهوَ مشهورٌ في فرنسا باعتباره شاعرًا في المقام الأول ثم روائيًا، وقد ألّف العديدَ من الدواوين الشعرية المشهورة، أمّا خارِج فرنسا، فهو مشهورٌ بكونِه كاتبًا روائيًا أكثر من كونه شاعرًا، وأبرَز أعمالِه الروائية هي رواية (البؤساء) و(أحدَب نوتردام)،

كما اشتهر أيضًا بكونه ناشطًا اجتماعيًا وسياسيًا حيث كان يدعو لإلغاء حُكم الإعدام في بعض كتاباته، وقد كانَ مؤيّدًا لنظام الجمهورية في الحُكم، وذلك تبعًا لوالده الذي كان جنرالاً في جيش نابليون – وهو آخر قادة نابليون الذين أوقفوا إطلاق النار عقب كارثة واترلوو عام ١٨١٥ – وكان فكتور في الثالثة عشرة من عمره آنذاك، وقد هجرت والدته أباه بعد تفاقم الخلافات في الرأي بينهما، فالأب كان جمهوريًا حد النخاع، بينما كانت الأم موالية للملكية، ويقال إن فيكتور كان يوالي الملكية في مقتبل شبابه، ثم تحولت ميوله لتأييد الجمهورية فيما بعد.

وقد درس هوجو القانون، لكنه لم يشتغل بالمحاماة، وفرغ نفسه للكتابة، فخرجت أعمالُه تَمَس القضايا الاجتماعية والسياسيّة في عصره، وقد وقف موقفًا رافضًا ومجابهًا لانقلاب ١٨٥١م، وفر بعده هاربًا إلى بروكسيل، وظل لفترة طويلة يعيش خارج فرنسا، حتى عاد إليها مجددًا سنة ١٨٧٠م، وظل بها حتى وفاته سنة ١٨٨٥م.

*** رواية تاريخ جريمة:**

هذه الرواية تتكون من جزءين، صدر أولهما – وهو الذي بين أيدينا الآن – والذي صدر عام ١٨٧٧م، يتناول تفاصيل بداية الانقلاب البونابرتي على الجمهورية الفرنسية سنة ١٨٥١م، وذلك

بسبب منع الدستور الفرنسي الرؤساء من الترشح لولاية ثانية، وكان لويس بونابرت (ابن أخي نابليون بونابرت القائد الفرنسي الشهير) قد انتخب رئيسًا للجمهورية الفرنسية عام ١٨٤٨م، ويفترض أن تنتهي ولايته عام ١٨٥٢م، ولا يحق له الترشح لولاية أخرى، لكن لويس بونابرت بعد أن عجز عن تعديل الدستور للسماح له بالاستمرار في منصبه، ودخل في صراع ممتد مع الجمعية التشريعية من أجل ذلك، قام بتدبير هذا الانقلاب بدهاء تام، وقد لاقى هذا الانقلاب تأييدًا من أغلبية الشعب الفرنسي، واستطاع بذلك تمديد فترة حكمه لمدة عشر سنوات أخرى، بعد استفتاء دستوري شعبي، ليقوم بتكوين الإمبراطورية الفرنسية الثانية.

وكما قلنا آنفًا إن فكتور هوجو كان رافضًا لهذا الانقلاب، واعتبره – مثل كثير من البرلمانيين الفرنسيين والنشطاء السياسيين – خيانة وطنية، وجريمة مكتملة الأركان، وعبر عن ذلك بالرواية التي كتبها من جزءين، وبما أن الرواية صدرت عقب نجاح الانقلاب البونابرتي بنحو ست عشرة سنة، فإن هذا يعني تمسك هوجو بموقفه الرافض لذاك الانقلاب لسنوات طويلة، حتى إن كلفه الهجرة والفرار عن الوطن.

والرواية تمزج بين النسق الأدبي الروائي، والسياق التأريخي للأحداث، حيث كان الكاتب – كما هو مسطر بعنوان الرواية – شاهد عيان على تلك الأحداث، ومشاركًا فيها بقوة، وقد اهتم الكاتب برصد تفاصيل الفضاء الزمكاني، ويعد هذا الفضاء الزمكاني هو البطل الرئيس للرواية، فالشخصيات كثيرة جدًا، لكن أدوارها صغيرة ومحدودة، وعلى الرغم من صغر حيز ظهور الشخصيات إلا أن الكاتب يهتم بوصف أبعاد الشخصية، والتبئير الداخلي والخارجي على السواء، لكنه تبنى في مطلق الأحوال منظور الموقف الرافض للانقلاب، لم يحد عنه، كما أن ظهور الكاتب بذاته وهويته في الأحداث منح الرواية طابع المذكرات الشخصية، إلا أنها كانت مذكرات أمة هذه المرة، لا مذكرات شخصية.

بقي أن نشير إلى أن النص الأساسي للرواية مكتوب بالفرنسية، إلا أنها ترجمت لعدة لغات، منها الإنجليزية، وقد جاءت ترجمتي للرواية عن الإنجليزية لا عن الفرنسية، وقد اجتهدت في صياغة العبارات بالمعنى العام، والابتعاد عن الترجمة الحرفية، ولكن واجهتني في ذلك صعوبات جمة، نظرًا لأن الرواية تتناول مكونات حضارية تعود إلى تلك الحقبة الزمنية، التي لم أدركها، علاوة على اشتمالها على تعبيرات أوربية دارجة

يستعملها الأوروبيون، تخرج المعنى عن سياقه الظاهري، وقد اجتهدت جهدي للإلمام بكل ذلك، وأرجو أن أكون قد وفقت في مهمتي، والحكم متروك للقارئ.

جابر فتحي

الأقصر – جمهورية مصر العربية

٥ فبراير ٢٠٢٤م

الفصل الأول: الكمين

في يوم ١ ديسمبر ١٨٥١ هز شاراس كتفه وأفرغ مسدساته، في الحقيقة أصبح الإيمان بإمكانية حدوث انقلاب مهينًا، لقد تبدد افتراض مثل هذا العنف غير القانوني من جانب لويس بونابرت بعد دراسة الأمر بجدية، وكانت القضية الأهم لهذا اليوم بوضوح هي انتخابات ديفينك، كان من الواضح أن الحكومة لا تفكر إلا في هذا الأمر: عن مؤامرة ضد الجمهورية، وضد الشعب، كيف يمكن لأي شخص أن يقوم بهذه المؤامرة مع سبق الإصرار؟ أين كان الرجل قادرًا على التلهي بمثل هذا الحلم؟ في فن التراجيديا يجب أن يكون هناك ممثل، وبالتأكيد هنا كان الممثل مطلوبًا لانتهاك حق الغضب، قمع الجمعية، إلغاء الدستور، الإطاحة بالأمة، تلطيخ العلم، إهانة الجيش، إخضاع رجال الدين والقضاء، النجاح، الانتصار، الحكم، الإدارة، النفي، الإقصاء، النقل، الخراب، الاغتيال، مدة حكم..

مع مثل هذا التواطؤ يصبح القانون في النهاية أشبه بسرير كريه من الفساد، ماذا؟ كل هذه الكوارث تكون مرتبطة ببعضها، وبواسطة من؟ عملاق؟ لا، بل بواسطة قزم. ضحك الناس لهذه الفكرة، ما عادوا يقولون: "يالها من جريمة" بل يقولون: "ما هذا

الهراء؟" لأنهم بعد كل هذا أدركوا أن الجرائم الشنيعة تتطلب شخصًا ذا مكانة رفيعة، هناك جرائم معينة لا يمكن لبعض الأيادي ارتكابها، إن الشخص الذي يريد تحقيق انقلاب الثامن عشر من برومير يجب أن يكون لديه أركولا في ماضيه، وأوسترليتز في مستقبله! إن فن أن يصبح المرء وغدًا كبيرًا لا يمنح لأول شخص قادم.

الناس يقولون في أنفسهم: من هو هذا ابن هورتنس؟ فهو لديه ماض في ستراسبورغ بدلا من أركولا، كما لديه بولون بدلا من أوسترليتز، إنه فرنسي ولد هولنديًا، وتجنس بالسويسرية، هو بونابرت مختلط بفرهول، ويشتهر فقط بسخافة سلوكه الإمبراطوري، ومن يحاول أن ينتف من ريش النسر الذي عليه سيجد في يديه ريش غراب، هذا البونابرت لا يملك أية قوة داخل الجيش الفرنسي، إنه صورة مزيفة من الذهب أقل قيمة من الرصاص، وبالتأكيد لن يقبل الجنود الفرنسيين بالانقياد لذلك النابليون المزيف في التمرد، والفظائع، والمجازر، والاعتداءات، والخيانة، وإذا ما حاول الاحتيال فلسوف يفشل، ولن يحرك أي فوج.

بجانب ذلك، لماذا يقوم بمثل هذه المحاولة؟ مما لا شك أن لديه جانبه المشبوه، لكن لماذا نفترض له الشر المطلق؟ إن مثل

هذه الاعتداءات المتطرفة أبعد ما تكون عنه، فهو غير قادر عليها جسديًا، لماذا الحكم عليه بقدرته على ذلك أخلاقيًا؟ ألم يتعهد بالشرف؟ ألم يقل: "لا أحد في أوربا يشك في كلمتي"؟ دعونا لا نخشى شيئًا، ومن الممكن الرد على هذا، إن الجرائم ترتكب إما على نطاق كبير، أو على نطاق متوسط، في الفئة الأولى هناك قيصر، وفي الثانية هناك ماندرين، قيصر يعبر نهر الروبيكون، بينما يعبر ماندرين الحضيض، لكن الحكماء تدخلوا قائلين: "ألسنا متحيزين للظنون السيئة؟"، هذا الرجل قد كان منفيًا وبائسًا، النفي ينير العقول، والمصيبة تصحح السلوك.

من جانبه احتج لويس بونابرت بقوة، والحقائق تكثر لصالحه، لماذا لا يتصرف هو بحسن نية؟ لقد قدم وعودًا رائعة قرب شهر أكتوبر ١٨٤٨، كذلك كان مرشحًا للرئاسة، وكان يتردد إلى المبنى رقم ٣٧ شارع دي لا تور دوفيرني، لشخصية معينة قال لها: "أريد أن أحصل على تفسير معك، إنهم يشوهونني، هل أعطيك انطباعًا بأني مجنون؟ إنهم يعتقدون أنني أرغب في إحياء نابليون، هناك رجلان يمكن للشخص الطموح أن يتخذهما نماذج له: نابليون وواشنطن، الأول رجل عبقري، والآخر رجل فضيلة، ومن السخرية أن أقول: أريد أن أكون رجلًا عبقريًا، لكن من الصدق أن أقول: سأكون رجل فضيلة، ما الذي يمكننا تحقيقه بإرادتنا: أن

نكون عباقرة؟ لا. أن نكون مستقيمين؟ نعم. تحقيق العبقرية أمر مستحيل، لكن تحقيق الاستقامة أمر محتمل.

وما الذي يمكنني إحياؤه من نابليون؟ شيء واحد فقط – جريمة، حقًا طموح يستحق العناء! لماذا ينبغي أن أعدّ رجلًا؟ بعد تأسيس الجمهورية أنا لست رجلًا عظيمًا، ولن أضاهي نابليون، لكني رجل صادق، سأقوم بتقليد واشنطن، اسم بونابرت سيصبح منقوشًا على صفحتين من تاريخ فرنسا: في الأولى سيكون هناك جريمة ومجد، وفي الثانية سيكون الاستقامة والشرف، وربما يكون الثاني مستحقًا للأول، لماذا؟ لأن نابليون هو الرجل الأعظم، وواشنطن هو الرجل الأفضل. بين البطل المذنب والمواطن الصالح أختار المواطن الصالح، هذا هو طموحي".

منذ عام ١٨٤٨ إلى عام ١٨٥١ انقضت ثلاث سنوات، كان الناس يشتبهون طويلًا في لويس بونابرت، لكن الشك المستمر لفترة طويلة يضعف العقل، ويرهق نفسه بإنذارات غير مجدية، وكان للويس بونابرت وزراء مخادعون مثل ماجني وروهير، ولكن كان لديه أيضًا وزراء صريحون مثل ليون فوشير، وأوديلون بارو، وقد أكد هاذان الأخيران على أنه كان مستقيمًا ومخلصًا، وقد شوهد وهو يضرب صدره أمام أبواب هام، وكتبت أخته بالتبني مدام هورتنس كورنو إلى ميروسلافسكي: "أنا جمهورية صالحة،

وأستطيع الإجابة نيابة عنه"، وصرّح صديقه بيوجر من هام، وهو رجل مخلص: "لويس بونابرت غير قادر على ارتكاب الخيانة"، أليس يكتب لويس بونابرت هو من كتب العمل الذي يحمل عنوان "الفقر"؟ في الدوائر المقربة من الإيليزيه كان الكونت بوتوكي جمهوريًا، وكان الكونت دورسيه ليبراليًا، قال لويس بونابرت لبوتوكي: "أنا رجل ديمقراطية"، وقال لدورسيه: "أنا رجل حريات"، وقد عارض ماركيز دو لاهاي الانقلاب، بينما كانت ماركيز دو لاهاي مؤيدة له، لويس بونابرت قال للماركيز: "لا تخف شيئًا"، صحيح أنه همس للماركيزة قائلًا: "اجعلي عقلك مهيئًا".

الجمعية – بعد أن أظهرت هنا وهناك بعض أعراض عدم الارتياح – أصبحت هادئة، كان هناك الجنرال نيومايير "الذي يجب الاعتماد عليه"، والذي من موقعه في ليون سيتوجه إلى باريس عند الحاجة، هتف شانغارنييه: "ممثلو الشعب يتشاورون بسلام"، حتى لويس بونابرت نفسه نطق بهذه الكلمات الشهيرة: "ينبغي أن أرى عدوًا لبلدي في أي شخص يغير بالقوة ما أقره القانون"، علاوة على ذلك كان الجيش "قوة"، وكان للجيش قادة، قادة محبوبون ومنتصرون: لامورسيير، شانغارنييه، كافينياك، ليفلو، بيدو، شاراس، كيف يمكن لأحد أن يتخيل جيش أفريقيا يعتقل جنرالات أفريقيا؟

في يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر ١٨٥١، قال لويس بونابرت لميشيل دي بورجيه: "إذا أردت أن أرتكب خطأ فلن أستطيع ذلك، بالأمس الخميس دعوت إلى طاولاتي خمسة كولونيلات من حامية باريس، وأخذتني النزوة لأسأل كل واحد على حدة، وقد أعلن لي الخمسة جميعًا أن الجيش لن يتعرض أبدًا لانقلاب عسكري، ولا الاعتداء على حرمة الجمعية، يمكنك أن تقول لأصدقائك هذا" ـ "ابتسم هو"، قال ميشيل دي بورجيه مطمئنًا، "وابتسمت أيضًا"، وبعد ذلك أعلن ميشيل دي بورجيه في صحيفة تريبيون أن "هذا هو الرجل المناسب لي"، وفي نفس الشهر نوفمبر صدرت مجلة ساخرة، حكم عليها بالغرامة والسجن، بتهمة تشويه رئيس الجمهورية، بسبب رسم كاريكاتوري يصور صالة إطلاق نار ولويس بونابرت يستخدم الدستور هدفًا للرماية، أعلن موريني وزير الداخلية في المجلس أمام الرئيس أن "حارس السلطة العامة لا ينبغي له أبدًا أن ينتهك القانون، وإلا فإنه سيكون رجلًا غير أمين"، تدخل الرئيس، كل هذه الكلمات، وكل هذه الحقائق كانت سيئة السمعة، وكانت الاستحالة المادية والمعنوية للانقلاب واضحة للجميع. لإثارة غضب مجلس الأمة، لاعتقال النواب، ما هذا الجنون!

وكما رأينا، قام شاراس – الذي ظل لفترة طويلة على أهبة الاستعداد – بتفريغ مسدساته، كان الشعور بالأمان كاملًا ومتفقًا عليه، ومع ذلك كان هناك البعض منا بالجمعية من لا يزال يحتفظ ببعض الشكوك، وكانوا يهزون رؤوسهم من حين لآخر، لكن كان ينظر إلينا من حين لآخر باعتبار أننا نحن الحمقى.

الفصل الثاني: باريس تنام – الجرس يدق

في الثاني من ديسمبر عام ١٨٥١ كان النائب فيرسيني، عن هوت ساون – الذي كان يقيم في باريس في منزل رقم ٤ شارع ليوني – نائمًا، ونام بسكون، فقد كان يعمل حتى وقت متأخر من الليل، كان فرسيني شابًا في الثانية والثلاثين من عمره، ناعم الملامح، وبشرته فاتحة اللون، وروح شجاعة، وعقل يميل إلى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية.

كان قد قضى الساعات الأولى من الليل في قراءة كتاب لباستيات، وفي غضون ذلك كان يدون ملاحظات هامشية، وترك الكتاب مفتوحًا فوق الطاولة، ثم غرق في النوم، وفجأة استيقظ على صوت رنين حاد للجرس، فهب في فزع، لقد كان الفجر، كانت الساعة حوالي السابعة صباحًا، لم يحلم أبدًا بما يمكن أن يكون الدافع وراء هذه الزيارة المبكرة، وفكّر في أن شخصًا أخطأ الباب، فاستلقى مرة أخرى، وكان على وشك أن يستأنف نومه عندما قرع الجرس مرة أخرى، وكان لا يزال صوته أعلى من الأول، وأثاره هذا تمامًا، نهض بقميص النوم وفتح الباب، دخل ميشيل دي بورجيه وتيودور باك، كان ميشيسل دي بورجيه جارًا لفرسيني، يقيم بالمنزل رقم ١٦ شارع ميلانو، كان تيودور باك

وميشيل شاحبين، وبديا مضطربين للغاية: "فيرسيني"، قال ميشيل: "ارتد ملابسك في الحال، لقد قبض على بون للتو".

-"باه!" صاح فرسيني: "هل هذا عمل موجوين؟"

-"البدء من جديد؟" أجاب ميشيل: "الأمر أكبر من ذلك، لقد جاءت إليّ زوجة بون وابنته منذ نصف ساعة مضت، أيقظوني من النوم، لقد ألقي القبض على بون في فراشه في الساعة السادسة هذا الصباح".

-"ماذا يعني ذلك؟" سأل فرسيني، دق الجرس مرة أخرى، أجاب ميشيل دي بورجيه: "من المحتمل أن يخبرنا هذا"، فتح فرسيني الباب، كان النائب بيير لو فرانك، لقد جاء في الحقيقة بحل اللغز.

-"هل تعرف ماذا يحدث؟" قال هو. "نعم"، أجاب ميشيل: "بون في السجن".

-"إن الجمهورية هي السجينة"، قال بيير لو فرانك: "هل قرأت اللافتات؟"

-"لا"، وأوضح لهم بيير لو فرانك أن الجدران في تلك اللحظات كانت مغطاة باللافتات التي اجتمع الجمهور الفضولي لقراءتها، وأنه ألقى نظرة على إحداها في زاوية شارعه، وأن الضربة قد سقطت".

-"الضربة!"، صاح ميشيل: "قل بالأحرى جريمة"

وأضاف بيير لو فرانك أنه كانت هناك ثلاث لافتات – مرسوم واحد، وإعلانان – الثلاثة جميعها على ورق أبيض، وتم لصقها بالقرب من بعضها البعض، وتمت طباعة المرسوم بأحرف كبيرة.

ثم دخل النائب السابق لايساك، الذي يقيم مثل ميشيل دي بورجيه في الحي رقم ٤، سيتي جيلارد، وجلب نفس الخبر، وأعلن عن المزيد من الاعتقالات التي تمت أثناء الليل، لم يكن هناك دقيقة لتضييعها، ذهبوا لنقل الخبر إلى إيفان سكرتير الجمعية، الذي تم تعيينه من قبل اليسار، والذي كان يقطن في شارع بورسو، وكان من الضروري عقد اجتماع فوري، ويجب تحذير هؤلاء النواب الجمهوريين، الذين مازالوا طلقاء، وإحضارهم دون تأخير، قال فيرسيني: "سأذهب لأجد فيكتور هوجو".

كانت الساعة الثامنة صباحًا، وكنت مستيقظًا أعمل على السرير، فدخل خادمي وقال بنوع من الذعر: "أحد النواب بالخارج يريد التحدث معك يا سيدي"

-"من هذا؟"

-"السيد فيرسيني"

-"أحضره إلى هنا"

دخـل فرسـيني وأخبرنــي بالوضــع، فقفـزت مـن الـسرير، وهـو أخبرنـي عن اللقاء في غرف النائب السابق لايساك. "اذهب على الفور وأبلغ النواب الآخرين" قلت أنا، فتركني وذهب.

الفصل الثالث: ماذا حدث أثناء الليل؟

قبل أيام الحزن القاتلة تلك من شهر يونيو عام ١٨٤٨، تم تقسيم ساحة الإنفاليد إلى ثماني حدائق عشبية كبيرة، محاطة بسياج خشبي، وتحفها بساتين من الأشجار، يفصل بينها شارع يمتد بشكل عمودي على واجهة إنفاليد، ويتقاطع مع هذا الشارع ثلاثة شوارع موازية لنهر السين، وكانت هناك مروج كبيرة اعتاد الأطفال اللعب عليها، مركز حدائق العشب الثمانية تم تشويه قاعدته التي كانت في عهد الإمبراطورية تحمل تمثال الأسد البرونزي للقديس مرقس، الذي تم جلبه من فينيسيا، واستبدل بتمثال من الرخام الأبيض للويس الثامن عشر، ثم تمثال نصفي من الجبس للافاييت تحت حكم لويس فيليب.

ونظرًا لأن قصر الجمعية التأسيسية كان على وشك الاستيلاء عليه من قبل حشد من المتمردين في ٢٢ يونيو ١٨٤٨، ولعدم وجود ثكنات حصينة في الحي، فقد شيد الجنرال كافينياك على بعد ثلاثمائة خطوة من القصر التشريعي، على قطع الأرض العشبية في إنفاليد، عدة صفوف من الأكواخ الطويلة التي كان العشب مختبئًا تحتها، وكانت هذه الأكواخ – التي يمكن أن تتسع لثلاثة أو أربعة آلاف رجل– تؤوي القوات المعينة خصيصًا

لحراسة الجمعية الوطنية في الأول من ديسمبر عام ١٨٥١، وكان الفوجان المتمركزان في المنتزه هما الفوج السادس والفوج الـ٤٢ من خط الحراسة، أما الفوج السادس فكان بقيادة الكولونيل غارديرين دي بويس، الذي كان مشهورًا قبل الثاني من ديسمبر، أما الفوج ٤٢ فكان بقيادة الكولونيل إسبيناس الذي اشتهر منذ ذلك التاريخ.

كان الحرس الليلي العادي يتألف من كتيبة مشاة، وثلاثين من رجال المدفعية، مع نقيب، بالإضافة إلى ذلك أرسل وزير الحربية عدة جنود للخدمة المنظمة، وكان هناك مدفعا هاون، وستة قطع من المدفعية، مع عربات الذخيرة، مصطفة في ساحة صغيرة مربعة الشكل تقع على يمين ساحة الشرف، التي كانت تسمى المحكمة التشريعية، وكان الرائد الذي تم تعيينه قائدًا عسكريًا للحراسة يخضع للرقابة المباشرة من الأمانة العامة.

عند حلول الظلام تم تأمين الشبكات والأبواب، وتم نشر الحراس، صدرت التعليمات للحراس، وصدرت التعليمات لهم بإغلاق القصر مثل القلعة، وكانت كلمة المرور هي نفسها الموجودة في ساحة باريس، التعليمات الخاصة التي وضعها الباحثون تحظر دخول أي قوة مسلحة غير الفوج المناوب.

في الليلة الأولى والثانية من ديسمبر كان القصر التشريعي يحرسه كتيبة من الفوج ٤٢، وكانت جلسة الأول من ديسمبر،

التي كانت هادئة للغاية وخصصت لمناقشة القانون المحلي، قد انتهت في وقت متأخر، وتم إنهاؤها بتصويت المحكمة، وفي اللحظة التي صعد فيها السيد باز، أحد رؤساء اللجنة إلى المنصة لإيداع صوته، اقترب منه نائب ينتمي إلى ما يسمى بالبنوك الإليزية، وقال له بصوت خفيض: "سيتم اختطافك الليلة"، كانت مثل هذه التحذيرات تصلنا كل يوم، وكما أوضحنا سابقًا انتهى الأمر بالناس إلى عدم الالتفات إليها، ومع ذلك بعد انتهاء الجلسة أرسل المحققون على الفور مفوض الشرطة الخاص بالمجلس، بحضور الرئيس دوبان، وبعد استجوابه أعلن المفوض أن تقارير عملائه تشير إلى "هدوء تام" – هكذا كان تعبيره – وأنه بالتأكيد لا يوجد خطر يستدعي القبض عليه في تلك الليلة، وعندما ضغط عليه المحققون مطالين بالمزيد من التفسيرات، غادر الرئيس دوبان الغرفة وهو يصرخ معترضًا: "باه!".

وفي نفس اليوم الأول من ديسمبر، حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، بينما كان والد زوجة الجنرال ليفلو يعبر الشارع أمام منزل تورتوني، مرّ شخص ما به سريعًا وهمس في أذنه بهذه الكلمات المهمة: "الساعة الحادية عشرة– منتصف الليل"، أثارت هذه الحادثة اهتمامًا قليلًا لدى المحققين، حتى أن الكثيرين ضحكوا عليها، لقد أصبح الأمر مألوفًا لديهم، ومع ذلك لم يذهب الجنرال

ليفلو إلى فراشه إلا بعد الساعة المذكورة، وبقي في مكاتب التحقيق حتى الساعة الواحدة صباحًا تقريبًا، وتم إجراء عملية اختزال أخبار الجمعية في الخارج، بواسطة أربعة مراسلين ملحقين بصحيفة المونيتور، الذين تم إرسالهم لحمل نسخة من عملية الاختزال إلى مكتب الطباعة، ثم إعادة أوراق الإثبات إلى قصر الجمعية، حيث قام السيد هيبوليت بريفوست بتصحيحها.

كان السيد هيبوليت بريفوست رئيسًا لطاقم الاختزال، وبهذه الصفة كان لديه شقق في القصر التشريعي، في نفس الوقت بالأول من ديمسبر كان محرر المجموعة الموسيقية بصحيفة المونيتور قد ذهب إلى أوبرا كوميك لحضور العرض الأول لمقطوعة موسيقية جديدة، ولم يعد إلا بعد منتصف الليل، وكان المراسل الرابع للمونيتور ينتظره مع دليل للجزء الأخير من الجلسة، وقام السيد بريفوست بتصحيح الدليل، ثم أمر المراسل بالانصراف.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بقليل، وساد هدوء عميق في كل مكان، وباستثناء الحارس نام جميع من بالقصر، في هذه الساعة من الليل وقعت حادثة فريدة، الكابتن المساعد للرائد في الحراسة، جاء إلى الرائد وقال له: "لقد أرسل العقيد في طلبي"، وأضاف حسب الآداب العسكرية: "هل تسمح

بي بالذهاب؟"، اندهش القائد وقال بشيء من الحدة: "اذهب، لكن العقيد مخطئ في إزعاج ضابط أثناء الخدمة"، سمع أحد جنود الحراسة – دون أن يفهم معنى الكلمات – القائد وهو يمشي ذهابًا وإيابًا، ويتمتم عدة مرات: "ماذا يريد منه بحق الشيطان؟"، وبعد نصف ساعة عاد مساعد الرائد. "حسنًا"، سأل القائد: "ماذا أراد العقيد منك؟"، أجاب المساعد: "لا شيء، لقد كان يرغب في إعطائي الأوامر لواجبات الغد".

أصبح الليل أكثر تقدمًا، وفي حوالي الساعة الرابعة صباحًا عاد مساعد الرائد مرة أخرى إلى القائد وقال له: "سيدي الرائد، لقد طلبني العقيد مرة أخرى". "مرة أخرى؟" صاح القائد: "لقد أصبح هذا غريبًا، ومع ذلك اذهب"، كان لمساعد الرائد من بين واجبات أخرى إعطاء التعليمات للحراس، وبالتالي كان لديه سلطة إلغائها، وبمجرد خروج المساعد، شعر الرائد بالقلق وظن أن من واجبه التواصل مع القائد العسكري للقصر، صعد إلى الطابق العلوي إلى شقة القائد نيولز.

كان العقيد نيولز قد ذهب إلى الفراش، وأوى الحاضرون إلى غرفهم في العلية، كان الرائد – الجديد في القصر – يتلمس طريقه في الممرات وهو يعلم القليل عن الغرف المختلفة، ثم طرق بابًا بدا له أنه باب القائد العسكري، ولم يجب أحد، ولم يفتح الباب، وعاد

الرائد إلى الطابق السفلي دون أن يتمكن من التحدث إلى أحد، ومن جانبه عاد مساعد الرائد إلى القصر لكن الرائد لم يره مرة أخرى.

بقي المساعد بالقرب من الباب المطل على ساحة بورغون، مرتديًا عباءته، ويمشي ذهابًا وإيابًا في الفناء كما لو كان ينتظر شخصًا ما، وفي اللحظة التي انطلقت فيها الساعة الخامسة من ساعة القبة العظيمة، فجأة استيقظ الجنود الذي كانوا ينامون في الكوخ قبل الإنفاليد، وصدرت الأوامر بصوت منخفض في الأكواخ بحمل السلاح في صمت، بعدها بوقت قصير كان هناك فوجان من الجنود من اللواء السادس والـ ٤٢، يحملون حقائب على ظهورهم سائرين تجاه قصر الجمعية، وفي نفس توقيت هذه الحركة التي وقعت الساعة الخامسة، وفي جميع أحياء باريس خرج جنود المشاة من كل ثكنة وقادتهم على رؤوسهم، ونزل مساعدو لويس بونابرت وضباطه النظاميون، الذين انتشروا في جميع الثكنات، يشرفون على هذه العملية العسكرية، ولم يتحرك سلاح الفرسان إلا بعد ثلاثة أرباع ساعة بعد المشاة، خوفًا من أن يوقظ قرع حوافر الخيول على الحجارة باريس النائمة مبكرًا.

سار السيد دي بيرسيني، الذي أحضر أمر حمل السلاح من الإيليزيه إلى معسكر الجنود، على رأس اللواء ٤٢ بجانب

الكولونيل إسبيناس، وقد سرت هناك قصة في الجيش في تلك اللحظة الراهنة، وهي قصة مؤسفة مثل حوادث الناس اللا شريفة، ولا تزال هذه الأحداث تروى بنوع من اللامبالاة الكئيبة: القصة المتداولة أن أحد هؤلاء القادة العسكريين، الذي يمكن أن يقال عنه متردد، أخرج مبعوث الإيليزيه مظروفًا مغلقًا من جيبه وقال له: "أيها العقيد، أعترف بأننا نواجه مخاطرة كبيرة، هنا في هذا المظروف الذي كُلفتُ بتسليمه لك، مائة ألف فرانك من الأوراق النقدية للحالات الطارئة"، وتم قبول المظروف، وانطلق مع اللواء العسكري، وفي مساء اليوم الثاني من ديسمبر قال ذلك الكولونيل لسيدة: "هذا الصباح أنا ربحت على مائة ألف فرانك، وأكتاف رتبة جنرال"، فطردته تلك السيدة، إكزافيير دوريو الذي روى لنا تلك القصة كان لديه الفضول فيما بعد لرؤية هذه المرأة، التي أكدت القصة.

نعم بالتأكيد لقد صكت الباب في وجه هذا البائس، إنه جندي خائن لوطنه ذلك الذي تجرأ على زيارتها، هل يصح أن تستقبل مثل هذا الرجل؟ لا، إنها لم تستطع ذلك، قال إكزافير دوريو، ثم أضافت: "ومع ذلك ليس لديّ شخصية لأخسرها".

وكان هناك لغز آخر قيد التنفيذ في مديرية الشرطة، ربما لاحظ سكان المدينة المتأخرون الذين ربما عادوا إلى منازلهم في

ساعة متأخرة من الليل وجود عدد كبير من سيارات الأجرة تتسكع في مجموعات متفرقة في نقاط مختلفة حول شارع القدس، من الساعة الحادية عشر مساء بحجة وصول اللاجئين إلى باريس من جنوة ولندن، وتم احتجاز لواء الأمن وثمانمائة من رقباء المدينة في المحافظة، وفي الساعة الثالثة صباحًا تم إرسال استدعاء إلى ثمانية وأربعين من مفوضي باريس وضواحيها، وكذلك لضباط السلامة العامة، وبعد ساعة واحدة وصلوا كلهم، وتم إدخالهم إلى زنزانات منفصلة، وعزلهم عن بعضهم البعض قدر الإمكان، وفي الساعة الخامسة دق الجرس في مكتب الحاكم، استدعى الحاكم موباس مفوضي الشرطة واحدًا تلو الآخر إلى مقر حكومته، وكشف لهم المؤامرة، وقسم لكل منهم نصيبه من الجريمة، ولم يرفض أحد، بل شكره كثير منهم.

كان الأمر يتعلق باعتقال ثمانية وسبعين ديمقراطيًا في منازلهم من ذوي النفوذ في مناطقهم، والذين كان الإليزيه يخشاهم باعتبارهم زعماء قبائل محتملين للمتاريس، وكان من الضروري، وهو أمر أكثر جرأة، اعتقال ستة عشر ممثلاً للشعب في منازلهم، ولهذه المهمة الأخيرة، تم اختيار مفوضي الشرطة من بين هؤلاء القضاة الذين بدا أنهم الأكثر احتمالاً لأن يصبحوا أشرارًا، ومن بين هؤلاء انقسم النواب، كان لكل منهم رجل خاص يرافقه، كان

للسيور كورتيل تشاراس، وكان للسيور ديسجرانج ناداود، وكان للسيور هوبوت الأكبر إم تيير، والسيور هوبوت تم تخصيص الجنرال الأصغر بيدو، والجنرال شانغارنييه ليرات، والجنرال كافينياك لكولين، وتولى سيور دورلينس النائب فالنتين، السيد بينوا النائب ميوت، وممثل السيد ألارد تشولات، وأخذ السيد بارليت روجر (دو نورد)، وسقط الجنرال لاموريسيير في يد المفوض بلانشيت، وكان للمفوض غرونفير ممثل غريبو، وممثل بودروت لاغرانج.

وتم تخصيص النواب بالطريقة نفسها: السيد باز مرافقًا للسيد بريمورين، والجنرال ليفلو للسيد بيرتوليو، وتم إعداد أوامر بأسماء النواب في مجلس الوزراء الخاص للمحافظ، ولم يتبق سوى الفراغات لأسماء المفوضين، تم ملؤها في لحظة المغادرة. بالإضافة إلى القوة المسلحة التي تم تعيينها للمساعدة وتقرر أن يرافق كل مفوض اثنين من المرافقين، أحدهما يتكون من رقباء المدينة، والآخر من رجال الشرطة بملابس مدنية، وكما قال المحافظ موباس للسيد بونابرت، فإن قائد الحرس الجمهوري بودينت، كان متورطًا مع المفوض ليرات في اعتقال الجنرال شانغارنييه، ونحو الساعة الخامسة والنصف، تم استدعاء الضباط الذين كانوا ينتظرون، وبدأ كل منهم يعمل وفق تعليماته.

وخلال هذا الوقت، في زاوية أخرى من باريس – شارع المعبد القديم – في قصر سوبيس القديم الذي تم تحويله إلى مطبعة ملكية، وهو اليوم مكتب الطباعة الوطني، تم تنظيم قسم آخر من الجريمة، في الواحدة صباحًا لاحظ أحد المارة الذي وصل إلى شارع دو تامبل القديم بالقرب من شارع دي فيلي هادرييت، لاحظ عند تقاطع هذين الشارعين عدة نوافذ طويلة وعالية مضاءة بشكل رائع، كانت هذه نوافذ غرف العمل التابعة للمكتب الوطني للطباعة، فاستدار إلى اليمين، ودخل شارع دو تامبل القديم، وبعد ذلك بلحظة توقف أمام المدخل الذي على شكل هلال لواجهة مكتب الطباعة، كان الباب الرئيسي مغلقًا، وكان اثنان من الحراس يحرسون الباب الجانبي، ومن خلال هذا الباب الصغير، الذي كان مواربًا، ألقى نظرة خاطفة على باحة المطبعة ورآها مليئة بالجنود، وكان الجنود صامتين، ولم يكن من الممكن سماع أي صوت، ولكن كان من الممكن رؤية بريق حرابهم، تفاجأ ذلك المارّ بأحد الحراس يقترب منه، ودفعه بوقاحة إلى الخلف وهو يصرخ: "ابتعد".

مثل رقباء المدينة في مديرية الشرطة، تم الاحتفاظ بالعمال في مكتب الطباعة الوطني تحت ذريعة العمل الليلي، وفي نفس الوقت الذي عاد فيه السيد هيبوليت بريفوست إلى القصر

التشريعي، عاد مدير مكتب الطباعة الوطني إلى الدخول مرة أخرى إلى مكتبه، عائدًا أيضًا من أوبرا كوميك، حيث كان قد ذهب لرؤية المعزوفة الجديدة التي كتبها شقيقه السيد دي سانت جورج، وفور عودته، حمل المدير، الذي جاءه أمر من الإليزيه أثناء النهار، مسدسي جيب ونزل إلى الردهة التي تفصلها عن الفناء بضع خطوات، وبعد ذلك بوقت قصير انفتح الباب المؤدي إلى الشارع، ودخلت سيارة أجرة، ونزل منها رجل يحمل حقيبة كبيرة، فذهب المدير إلى الرجل وقال له: أهذا أنت السيد دي بيفيل؟". أجاب الرجل: "نعم"، تم وضع سيارة الأجرة في المرآب، ووضعت الخيول في إسطبل، وأرسل السائق إلى صالة الاستقبال، حيث قدموا له الشراب، ووضعوا محفظة في يده، حيث تشكل زجاجات النبيذ والخمور دورًا أساسيًا في هذه السياسة، شرب السائق الخمر ثم نام.

كان باب الصالة مقفلاً، ولم يكد يُغلق الباب الكبير لباحة المطبعة حتى أُعيد فتحه، مما أتاح المجال للمسلحين الذين دخلوا في صمت، ثم انسحبوا، وكان الوافدون قوة مشتركة من الدرك المتنقل، والفرقة الرابعة من الكتيبة الأولى، بقيادة كابتن اسمه لاروش دويزي، وكما يمكن ملاحظة النتيجة، فقد اهتم رجال الانقلاب، في جميع الرحلات الاستكشافية الدقيقة، باستخدام قوات

الدرك المتنقلة والحرس الجمهوري، وهذا يعني أن الفيلقين يتكونان بالكامل تقريبًا من الحرس البلدي السابق، الذي يحمل في قلبه ذكرى انتقامية لأحداث فبراير، وأحضر الكابتن لاروش دويزي رسالة من وزير الحرب، وضع فيها نفسه وجنوده تحت تصرف مدير الديوان الوطني للطباعة، وتم تحميل البنادق دون نطق كلمة واحدة.

تم وضع الحراس في غرف العمل، في الممرات، عند الأبواب، عند النوافذ، في الواقع، في كل مكان، واثنان عند الباب المؤدي إلى الشارع، سأل القبطان عن التعليمات التي يجب أن يعطيها للحراس. قال الرجل الذي جاء في سيارة الأجرة: "بكل بساطة، من يحاول الخروج أو فتح نافذة أطلق عليه النار".

انسحب هذا الرجل، الذي كان في الواقع دي بيفيل، الضابط النظامي للسيد بونابرت، مع المدير إلى الخزانة الكبيرة في الطابق الأول، وهي غرفة منعزلة تطل على الحديقة، وهناك أبلغ المدير بما أحضره معه، ومرسوم حل الجمعية، والبيان الموجه إلى الجيش، والبيان الموجه إلى الشعب، ومرسوم دعوة الناخبين، وبالإضافة إلى ذلك، إعلان الحاكم موباس ورسالته إلى مفوضي الشرطة، وكانت الوثائق الأربع الأولى بالكامل بخط يد الرئيس، وهنا وهناك يمكن ملاحظة بعض المحو.

كان الخطاطون في الانتظار، وتم وضع كل رجل بين اثنين من رجال الدرك، ومُنع من النطق بكلمة واحدة، ثم تم توزيع الوثائق التي يجب طباعتها في جميع أنحاء الغرفة، وتم تقطيعها إلى قطع صغيرة جدًا، بحيث لا يمكن قراءة الجملة بأكملها من قبل عامل واحد، وأعلن المدير أنه سيمنحهم ساعة لتجميع الكل، وأخيرًا تم إحضار الأجزاء المختلفة إلى العقيد بيفيل، الذي قام بتجميعها وتصحيح أوراق الإثبات، وتم إجراء المعالجة بنفس الاحتياطات، حيث كان كل مكبس بين جنديين، وعلى الرغم من كل الاجتهاد الممكن، استمر العمل لمدة ساعتين، والدرك يراقبون العمال، بينما راقب بيفيل القديس جورج.

وعندما انتهى العمل، وقعت حادثة مشبوهة، تشبه إلى حد كبير خيانة داخل خيانة، حيث يكون للخائن خائن أعظم، هذا النوع من الجرائم يخضع لمثل هذه الحوادث، بيفيل وسانت جورج، الصديقان الموثوقان اللذان كان في أيديهما سر الانقلاب، وهذا يعني رأس الرئيس؛ – هذا السر، الذي لا ينبغي السماح له بأن ينكشف بأي ثمن قبل الساعة المحددة، حذرًا من خطورة التسبب في إجهاض كل شيء، خطر في رؤوسهم أن يفشوه على الفور إلى مائتي شخص، من أجل "اختبار تأثيره عليهم"، كما قال العقيد السابق بيفيل لاحقًا، بسذاجة إلى حد ما، لقد قرأوا الوثيقة الغامضة التي

تم طباعتها للتو لرجال الدرك الذين تم وضعهم في الفناء، وقد صفق هؤلاء الحراس البلديون السابقون، ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يعجبهم الأمر؟ لربما سُئل هذان الرجلان المتحمسان عما سيفعلانه بخصوص الانقلاب، ربما كان السيد بونابرت قد استيقظ من حلمه في فينسين.

تم بعد ذلك تم إطلاق سراح الخطاطين، وتم تركيب الخيل بالعربات، وفي الساعة الرابعة صباحًا، وصل ضابط النظام ومدير مكتب الطباعة الوطني، وهما مجرمان من الآن فصاعدًا، إلى مكان الحادث بمديرية الشرطة مع طرود المراسيم، ثم بدأ لهم نوع من العار أخذهم الحاكم موباس بأيديهم، وانطلقت مجموعات من العاملين في كل اتجاه حاملين معهم المراسيم والإعلانات لتعليقها، وهم قد رشوتهم بالأوراق النقدية لهذه المناسبة.

وكانت هذه بالضبط هي الساعة التي تم فيها احتلال قصر الجمعية الوطنية، كما كان يوجد حشد في شارع الجامعة باب القصر، وهو المدخل القديم لقصر بوربون، والذي يفتح على الشارع المؤدي إلى منزل رئيس الجمهورية، وهذا الباب يسمى باب الرئاسة، وكان حسب العادة يحرسه حارس. ولبعض الوقت، ظل مساعد الرائد، الذي تم إرساله مرتين أثناء الليل من قبل العقيد إسبيناس، بلا حراك وصامت، بالقرب من الحارس، بعد خمس

دقائق، بعد مغادرة أكواخ إنفاليد، خرج الفوج ٤٢ من الخط، يليه على مسافة ما الفوج السادس، الذي سار بالقرب من شارع بورغون، من شارع الجامعة، يقول أحد شهود العيان: "تحرك الفوج كشخص سير بخطوات حذرة في غرفة المرضى"، ووصل بخطوات خفية أمام باب الرئاسة، وكان هذا الكمين من أجل مفاجأة قوات الأمن، توقف الحارس عندما رأى هؤلاء الجنود يصلون، ولكن في اللحظة التي كان سيواجههم فيها بعزم، أمسك القائد المساعد ذراعه، وبصفته الضابط المخول بإبطال جميع التعليمات، أمره بإعطاء حرية المرور إلى اللواء ٤٢، وفي الوقت نفسه أمر البواب المندهش بفتح الباب، دار الباب على مفصلاته، وانتشر الجنود في الشارع، فدخل بيرسينيي وقال: "لقد تم الأمر"، تم غزو الجمعية الوطنية.

عند ضجيج الخطى، ركض القائد مينير، ولكن صاح به الكولونيل إسبيناس: "أيها القائد، لقد جئت لنقل مسئولية كتيبتك"، شحب القائد للحظة، وبقيت عيناه مثبتتين على الأرض، ثم فجأة وضع يديه على كتفيه، ومزق كتافته، واستل سيفه، وكسره عبر ركبته، وألقى الشظيتين على الرصيف، وهو يرتجف من الغضب، صرخ بصوت مهيب: "أيها العقيد، إنك تهين مقام كتيبتك."، قال إسبيناس: "حسنًا، حسنًا".

وترك باب الرئاسة مفتوحا، لكن جميع المداخل الأخرى ظلت مغلقة، وتم إراحة جميع الحراس، وتغير كل الحراس، وتم إرسال كتيبة الحرس الليلي مرة أخرى إلى معسكر الإنافيلد، وتكدس أسلحة الجنود في الشارع وفي ساحة الشرف، وبصمت بالغ استولى الفوج ٤٢ على الأبواب في الخارج والداخل، والفناء، وغرف الاستقبال، والأروقة، والممرات، بينما كان الجميع ينامون في القصر.

بعد ذلك بوقت قصير وصلت اثنتين من تلك العربات الصغيرة التي يطلق عليها "الأبناء الأربعون"، واثنتين من العربات، ترافقها مفرزتان من الحرس الجمهوري وقوات شوتور دي فينسين، وعدة فرق من الشرطة، ونزل المفوضان بيرتوليو وبريمورين من المركبتين، بينما كانت هذه العربات تقل شخصًا أصلع، لكنه لا يزال شابًا، شوهد عند الباب المفتوح في ساحة بورغون. كان لهذه الشخصية طابع رجل المدينة، الذي جاء للتو من الأوبرا، وفي الواقع، لقد جاء من هناك، لقد جاء من هناك بعد أن مر عبر وكر، لقد جاء من الإليزيه، كان هذا الشخص هو دي مورني، للحظة شاهد الجنود وهم يضعون أسلحتهم، ثم توجه إلى باب الرئاسة، وهناك تبادل بضع كلمات مع السيد دي بيرسيني.

وبعد ربع ساعة، استولى برفقة ٢٥٠ من قوات فينسين على وزارة الداخلية، وأزعج السيد دي ثورينيي في سريره، وسلمه بفظاظة رسالة شكر من السيد بونابرت، قبل بضعة أيام من ذلك قال السيد دي ثوريني، الذي استشهدنا بتصريحاته الساذجة، لمجموعة من الرجال الذين كان السيد دي مورني يمر بالقرب منهم: "كيف يفتري رجال الجبل هؤلاء على الرئيس! إن الرجل الذي يحنث بقسمه، والذي سيحقق انقلابًا، يجب بالضرورة أن يكون بائسًا لا قيمة له".

لقد تم إيقاظه بوقاحة في منتصف الليل، وأُعفي من منصبه كوزير مثل حراس المجلس، الرجل الفاضل، مذهولًا، وفرك عينيه، وتمتم: "إيه! إذًا الرئيس هو ـــــ"، "نعم" قالها مورني مع موجة من الضحك، إن من يكتب هذه السطور يعرف مورني، مورني ووالوسكي شغلا منصبين في العائلة شبه الحاكمة، أحدهما نذل ملكي، والآخر نذل إمبراطوري.

فأيهما كان مورني؟ سنقول: "ذكي مشهور، مثير للفضول، ولكن ليس متقشفًا بأي حال من الأحوال، صديق لروميو، ومؤيد لجيزو، يمتلك أخلاق العالم، وعادات طاولة الروليت، راضٍ عن نفسه، ذكي، يجمع بين حرية الأفكار مع الاستعداد لقبول الجرائم المفيدة، وإيجاد وسائل لإظهار ابتسامة لطيفة مع أسنان سيئة،

يعيش حياة من المتعة، ، العثور على وسيلة لارتداء ابتسامة لطيفة مع أسنان سيئة، يعيش حياة من المتعة، حياة مشتتة ولكنه متحفظ، قبيح، جيد المزاج، شرس، حسن الملبس، شجاع، يترك أخاه سجينًا تحت البراغي والقضبان عن طيب خاطر، وعلى استعداد للمخاطرة برأسه من أجل أخيه الإمبراطور، وله نفس والدة لويس بونابرت، وكما لويس بونابرت، الذي لديه أب مختلف، يستطيع أن يطلق على نفسه اسم بوهارنيه، ويستطيع أن يطلق على نفسه اسم فلاهاوت، ومع ذلك يطلق على نفسه اسم مورني، يميل إلى الأدب مثل الكوميديا الخفيفة، والسياسة إلى المأساة، له كبد حر مميت، يمتلك كل الرعونة المتوافقة مع الاغتيال، قادر على أن يرسمه ماريفو ويعالجه تاسيتوس، بلا ضمير، أنيق بشكل لا عيب فيه، سيئ السمعة، وودود، يمكنه أن يبدو مثل دوق مثالي عند الحاجة، هكذا كان هذا المجرم."

لم تكن الساعة السادسة صباحًا قد أتت بعد، حين بدأت القوات في حشد نفسها في ساحة الكونكورد، حيث أجرى ليروي سان أرنو استعراضًا على ظهور الخيل، وقام مفوضو الشرطة، بيرتوليو وبريمورين، بترتيب وحدتين من الشرطة تحت قوس الدرج الكبير لمركز الشرطة، لكنهما لم يصعدا على هذا الدرج، وكان برفقتهم عملاء من الشرطة، الذين كانوا يعرفون أكثر أماكن الاستراحة

سرية في قصر بوربون، والذين قادوهم عبر ممرات مختلفة، وتم إيواء الجنرال ليفلو في الجناح الذي كان يسكنه السيد فيوشير في زمن دوق بوربون.

في تلك الليلة، أقام الجنرال ليفلو ومعه أخته وزوجها، اللذان كانا يزوران باريس وينامان في غرفة يؤدي بابها إلى أحد أروقة القصر، طرق المندوب بيرتوليو الباب وفتحه، ومعه اقتحم العملاء فجأة الغرفة التي كانت فيها امرأة في السرير، ونهض شقيق الجنرال من السرير، وصاح بالمفوض الذي كان ينام في غرفة مجاورة: "أدولف، الأبواب مقفلة، القصر مليء بالجنود، انهض!" فتح الجنرال عينيه، ورأى المفوض بيرتوليو يقف بجانب سريره، وهب من فراشه بسرعة: "أيها الجنرال"، قالها المفوض: "لقد جئت لأداء واجبي". قال الجنرال ليفلو: "أفهم أنك خائن".

تلعثم المفوض بالكلمات: "مؤامرة ضد سلامة الدولة"، وأظهر مذكرة، لكن الجنرال، دون أن ينطق بكلمة واحدة، ضرب هذه الورقة سيئة السمعة بظهر يده، ثم ارتدى ملابسه، ارتدى زيه الرسمي الكامل الذي ارتداه في قسنطينة وميديا، وأخذ يتخيل بولائه الخيالي الشبيه بالجندي أنه لا يزال هناك جنرالات أفريقيا للجنود الذين سيجدهم في طريقه، جميع الجنرالات المتبقين الآن كانوا من قطاع الطرق، احتضنته زوجته؛ وابنه الذي كان طفلًا في السابعة

من عمره، قال لمفوض الشرطة وهو يرتدي قميص النوم ويبكي: "الرحمة يا سيد بونابرت"، وبينما كان الجنرال يحتضن زوجته بين ذراعيه، همس في أذنها: "هناك مدفعية في الفناء، حاولي إطلاق مدفع"، واقتاده المفوض ورجاله بعيدًا.

ونظر إلى رجال الشرطة هؤلاء بازدراء، ولم يتحدث إليهم، ولكن عندما تعرف على العقيد إسبيناس، امتلأ قلب بريتون بالسخط، وقال: «العقيد إسبيناس، أنت خائن، وآمل أن أعيش طويلاً بما يكفي لتمزيق الأزرار من زيك العسكري»، أمال العقيد إسبيناس رأسه، وتلعثم قائلًا: "أنا لا أعرفك"، ولوح رائد بسيفه وصاح: "لقد سئمنا من جنرالات المحامين"، وقام بعض الجنود بالتلويح بحرابهم أمام السجين الأعزل، ودفعه ثلاثة من رقباء المدينة في حالة من الفوضى، واقترب ملازم أول من العربة، ونظر في وجه الرجل الذي، لو كان مواطنًا لكان هو ممثله، و لو كان جنديًا لكان قائدًا له، وألقى عليه هذه الكلمة البغيضة: "خسيس!".

في هذه الأثناء، كان المفوض بريمورين قد سلك طريقًا ملتويًا أكثر لكي يفاجئ مفوضًا آخر يدعى السيد باز، وخارج شقة السيد باز هذا، يوجد باب يؤدي إلى الردهة التي تتصل بقاعة الجمعية، طرق السيد بريمورين الباب: "من هناك؟" سأل الخادم الذي كان

يرتدي ملابسه، أجاب: "مفوض الشرطة بريمورين". فتح الخادم الباب، معتقدًا أنه مفوض شرطة الجمعية، . في هذه اللحظة، كان السيد باز، الذي سمع الضجيج واستيقظ للتو، يرتدي ثوبًا، وصرخ: "لا تفتح الباب". لم يكد يتكلم بهذه الكلمات حتى اندفع إلى غرفته رجل يرتدي ملابس مدنية وثلاثة رقباء يرتدون زيًا رسميًا، فتح الرجل معطفه وأظهر وشاحه الرسمي، وسأل السيد باز: "هل تعرف هذا؟" أجاب المفوض: "أنت بائس، وهذا الزي لا قيمة له"، وضع عناصر الشرطة أيديهم على السيد باز، الذي قال: "لن تأخذوني بعيدًا، "أنت، مفوض الشرطة، أنت القاضي، وتعرف ما تفعله، أنت تثير غضب الجمعية الوطنية، وتنتهك القانون، أنت مجرم!" تلا ذلك صراع بالأيدي – أربعة ضد واحد، مدام باز وابنتاها الصغيرتان لم يجدن متنفسًا سوى الصراخ، وتم دفع الخادمة للخلف بالضربات من قبل رقباء المدينة. "أنتم أوغاد"، صرخ السيد باز، لكنهم حملوه بعيدًا بقوة كبيرة بين أذرعهم، وكان لا يزال يقاوم عاريًا، وقد تمزق رداؤه إلى أشلاء، وجسده مغطى بالضربات، ومعصمه ممزق وينزف.

كانت السلالم والمهبط والفناء ممتلئين بالجنود الذين يحملون حرابًا ثابتة وأسلحة نارية مثبتة على الأرض، تحدث إليهم المفوض: "تم اعتقال ممثليكم، وأنتم لم تتسلموا هذه الأسلحة

لتنتهكوا القوانين!"، " كان هناك رقيب يرتدي صليبًا جديدًا تمامًا، خاطبه السيد باز قائلًا: "هل تم إعطاؤك الصليب من أجل هذا؟" أجاب الرقيب: "نحن نعرف سيدًا واحدًا فقط."، تابع السيد باز: "لقد سجلت رقمك، أنتم فصيل مشين"، استمع الجنود بجمود إلى هذا، وبدوا ما زالوا نائمين، فقال لهم المفوض بريمورين: "لا تجيبوا، هذا ليس له صلة بكم"، ثم قادوا النائب عبر الفناء المؤدي إلى بيت الحراسة ذي الباب الأسود، كان هذا هو الاسم الذي أطلق على الباب الصغير المصمم تحت القبو المقابل لخزانة الجمعية، والذي فتح في شارع دي بوريون، مقابل شارع دي لي.

تم وضع العديد من الحراس عند باب غرفة الحراسة، وفي الجزء العلوي من الدرج المؤدي إلى هناك، تُرك السيد باز هناك تحت مسئولية ثلاثة من رقباء المدينة، دخل وخرج عدد من الجنود، بدون أسلحتهم، ويرتدون قمصانهم. ناشدهم النائب باسم شرف الجيش، لكن الرقيب قال للجنود: "لا تجيبوا"، وكان قد تبعته ابنتا السيد باز الصغيرتان بأعين مذعورة، وعندما فقدوا رؤيته، انفجرت الصغرى في البكاء. "يا أختي" قالت الكبرى، التي كانت في السابعة من عمرها، "دعونا نتلو صلواتنا"، وركعت الطفلتان، وشبكا أيديهما، واقتحم المفوض بريمورين، مع حشد من العملاء، مكتب النائب، ووضعوا أيديهم على كل شيء، الأوراق الأولى

التـي رآهـا فـي منتـصف الطاولـة، والتـي اسـتولى عليهـا، كانـت المراسيم الشهيرة التي تم إعدادها في حالة تصويت الجمعية على اقتراح النواب.

تـم فـتح جميـع الأدراج وتفتيـشها، هـذا الفحـص الـشامل لأوراق السيد بـاز، والـذي وصـفه مفوض الشرطة بالزيارة المنزلية، استمر أكثر من ساعة، وتم أخذ ملابس السيد باز إليه، ليرتديها، وعندما انتهت "الزيارة المنزلية"، تم إخراجه من غرفة الحراسة، كان هناك عربة حصان في الفناء الذي دخل إليه مع رقباء المدينة الثلاثة، لكي تصل العربة إلى باب الرئاسة، مرت بمحكمة الشرف ومن ثم ساحة كانونيس.

كان الفجر قد حل، نظر السيد باز إلى الفناء ليرى ما إذا كان المدفع لا يزال هناك، ورأى عربات الذخيرة، كانت العربات مرتبة وأعمدتها مرفوعة، لكن أماكن المدافع الستة ومدافع الهاون كانت شاغرة، وفي جادة الرئاسة توقفت العربة للحظة، كان صفان من الجنود يقفون بهدوء، يصطفان على طول ممرات المشاة في الشارع، عند سفح شجرة، تجمع ثلاثة رجال: العقيد إسبيناس، الذي كان السيد باز يعرفه وتعرف عليه، منذ أن كان برتبة مقدم، وكان يرتدي شريطًا أسود وبرتقاليًا حول رقبته، ورائد من لانسر، وكان الثلاثة متقلدي سيوفهم، يتشاورون معًا، وكان قد تم إغلاق

نوافذ العربة، وأراد السيد باز أن يخفضهم ليناشد هؤلاء الرجال؛ لكن الرقباء أمسكوا بذراعيه، ثم جاء المفوض بريمورين، وكان على وشك العودة إلى العربة الصغيرة التي تتسع لشخصين التي أحضرته. "سيد باز" قالها بتلك الكياسة الخسيسة التي استخدمها عملاء الانقلاب،

حيث تمتزج تلك النبرة اللطيفة مع جريمتهم: "يجب أن تكون غير مرتاح مع هؤلاء الرجال الثلاثة في الضيقة، تعال معي"- "دعني وشأني" كذا قال السجين، وأضاف: "مع هؤلاء الرجال الثلاثة هي ضيقة، ويجب أن تكون معك ملوثة."

كانت هناك حراسة من المشاة على جانبي الطريق، نادى الكولونيل إسبيناس على السائق، قائلًا: "قم بالقيادة ببطء بالقرب من كواي دي أورساي، حتى تصل إلى حراسة من سلاح الفرسان، وعندما يتولى سلاح الفرسان المسؤولية، جنود المشاة يمكنهم أن يعودوا أدراجهم"، وانطلقوا بالعربة، وعندما تحولت إلى طريق كواي دي أورساي وصلت فرقة من فرقة لانسر السابعة بأقصى سرعة، وأحاطت القوات بالعربة، وانطلق الجميع معًا، ولم يقع أي حادث خلال الرحلة.

هنا وهناك، مع ضجيج حوافر الخيول، انفتحت النوافذ وبرزت الرؤوس؛ وسمع السجين، الذي نجح أخيرًا في خفض النافذة، أصواتًا مندهشة تقول: "ما المشكلة؟"

توقفت العربة: "أين نحن؟" سأل السيد باز، قال رقيب المدينة: "في مازاس"، تم نقل النائب إلى مكتب السجن، وبمجرد دخوله رأى باون ونداو يُخرجان، كانت هناك طاولة في المركز، جلس عليها للتو المفوض بريمورين، الذي كان يتبعهم بعربته، قد جلس للتو، وبينما كان المفوض يكتب، لاحظ السيد باز على الطاولة ورقة من الواضح أنها سجل سجن، وكانت مكتوبة عليها هذه الأسماء بالترتيب التالي: لاموريسيير، شاراس، كافينياك، شانغارنييه، ليفلو، تيير، بيدو، روجر (دو نورد)، شامبولي، ربما كان هذا هو الترتيب الذي وصل به النواب إلى السجن.

عندما انتهى السيد بريمورين من الكتابة، قال السيد باز: "الآن، ستكون جيدًا بما يكفي لتلقي احتجاجي وإضافته إلى تقريرك الرسمي"، اعترض المفوض قائلاً: "إنه ليس تقريرًا رسميًا، إنه مجرد أمر بالإيداع"، أجاب السيد باز: "أنوي أن أكتب احتجاجي على الفور"، قال رجل كان واقفًا بجانب الطاولة: "سيكون لديك متسع من الوقت في زنزانتك"، استدار السيد باز إليه قائلًا: "من أنت؟" قال الرجل: أنا مدير السجن، أجاب السيد باز: "في هذه

الحالة، أنا أشفق عليك، لأنك على علم بالجريمة التي ترتكبها"، شحب وجه الرجل، وتلعثم ببضع كلمات غير مفهومة، نهض المفوض من مقعده، واتخذ السيد باز مجلسه على كرسيه بخفة، وجلس إلى الطاولة، وقال للسيد بريمورين: "أنت موظف عام؛ أطلب منك إضافة احتجاجي إلى تقريرك الرسمي"، قال المفوض: "حسنًا جدًا، فليكن الأمر كذلك".

كتب باز الاحتجاج على النحو التالي: "أنا الموقع أدناه، جان ديدييه بازي، ممثل الشعب وأمين سر الجمعية الوطنية، وقعت أعمال عنف في مقر إقامتي في قصر الجمعية الوطنية، وتم نقلي إلى هذا السجن بواسطة قوة مسلحة لم يكن من الممكن أن أقاومها، وها أنا أقدم احتجاجًا باسم الجمعية الوطنية وباسمي ضد الاعتداء على التمثيل الوطني الذي ارتكب تجاه زملائي وعلي نفسي. صدر في مازاس في الثاني من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٥١، الساعة الثامنة صباحًا. التوقيع: باز".

وبينما كان ذلك يحدث في مازاس، كان الجنود يضحكون ويشربون في فناء الجمعية، وكانوا يعدون قهوتهم، وقد أشعلوا نيرانًا هائلة في الفناء، وكانت النيران التي تؤججها الرياح تصل أحيانًا إلى جدران الغرفة، وتجرأ رامونـد دي لا كروازيت، أحد كبار المسؤولين في قسم الشرطة، وهو ضابط في الحرس الوطني،

قائلاً لهم: "سوف تشعلون النار في القصر"، فضربه جندي بقبضة يده، وتم وضع أربع قطع مأخوذة من كو دي كانون في تشكيل المدفعية الموجهة تجاه الجمعية، وتم توجيه اثنين في ساحة بورغون نحو البوابة المصفحة، واثنان في جسر الكونكورد تم توجيههما نحو الدرج الكبير.

كملاحظة جانبية: لهذا حكاية مفيدة دعونا نذكر حقيقة غريبة، كان اللواء ٤٢ هو نفسه الفصيل العسكري الذي اعتقل لويس بونابرت في بولوني في عام ١٨٤٠، فقد قدم هذا الفصيل مساعدته للقانون ضد المتآمر، وفي عام ١٨٥١ قدم هذا الفصيل نفسه مساعدته للمتآمر ضد القانون: هذا هو جمال الطاعة العمياء.

الفصل الرابع: أعمال أخرى في الليل

خلال نفس الليلة على الإطلاق وقعت أعمال قطع الطرق في أجزاء من باريس، وصل في صمت رجال مجهولون يقودون القوات المسلحة، وهم أنفسهم مسلحون بالفؤوس، والمطارق، والكماشات، والعتلات، وأدوات إنقاذ الحياة، والسيوف المخبأة تحت معاطفهم، والمسدسات، التي يمكن تمييز أعقابها تحت ثنايا عباءاتهم.

أمام أحد المنازل احتلوا الشارع، وطوقوا المداخل، وكسروا قفل الباب، وأوثقوا البواب بالقيود، واقتحموا الدرج، واقتحموا الأبواب على رجل نائم، وعندما استيقظ ذلك الرجل من النوم، سأل هؤلاء اللصوص: "من أنتم؟" أجاب زعيمهم: "مفوض الشرطة"، وهذا ما حدث مع لاموريسيير الذي قبض عليه بلانشيه وهدده بتكميمه، وكذلك جريبو الذي عومل بوحشية وألقى به غرونفييه أرضًا، بمساعدة ستة رجال يحملون فانوسًا داكنًا وفأسًا؛ إلى كافينياك الذي تم احتجازه من قبل كولن، الشرير ذو اللسان السليط، الذي تأثر بالصدمة عندما سمعه يسب ويلعن؛ إلى السيد ثيير الذي اعتقله هيوباو الأكبر؛ الذي ادعى أنه رآه "يرتعد ويبكي" مما يضيف الكذب إلى الجريمة؛ إلى فالنتين، الذي هاجمه دورلينز في

سريره، وتم أخذه محمولًا من القدمين والكتفين، وتم دفعه إلى سيارة شرطة مغلقة؛ إلى ميوت، المقرر أن يتعرض لتعذيب زملائه الأفارقة؛ إلى روجر دو نورد، الذي قدم نبيذ الشيري لقطاع الطرق بسخرية شجاعة وبارعة.

وقد أُخذ شاراس وشانغارنييه على حين غرة، كانا يسكنان في شارع سانت أونوريه، مقابل بعضهما البعض تقريبًا، شانغارنييه في رقم ٣، تشاراس في رقم ١٤، ومنذ التاسع من سبتمبر، قام شانغارنييه بطرد الرجال الخمسة عشر المسلحين حتى الأسنان الذين كانوا يحرسونه حتى الآن، وأثناء الليل وفي الأول في ديسمبر/كانون الأول، كما قلنا، كان شاراس قد أفرغ مسدساته، وكانت هذه المسدسات الفارغة ملقاة على الطاولة عندما جاءوا لإلقاء القبض عليه، وألقى مفوض الشرطة بنفسه عليهما، وقال له شاراس: "أيها الأحمق، لو كانت معبأة بالرصاص، لكنت رجلًا ميتًا"، هذه المسدسات، ربما نلاحظ، قد تم تسليمها إلى شاراس عند الاستيلاء على ماسكارا من قبل الجنرال رينو، الذي كان في لحظة اعتقال شاراس يمتطي حصانًا في الشارع يساعد في تنفيذ الانقلاب، إذا كانت هذه المسدسات قد ظلت معبأة، وإذا كان الجنرال رينو قد كلف بمهمة القبض على شاراس، لكان من

الغريب أن تكون مسدسات رينو قد قتلت رينو، ومن المؤكد أن شاراس لم يكن ليتردد.

لقد ذكرنا بالفعل أسماء هؤلاء الأوغاد من الشرطة، ولا فائدة من تكرارها، كان كورتيل هو من اعتقل شاراس، وليرات هو من اعتقل شانغارنييه، وديسغرانج هو من اعتقل ناداود، وكان الرجال الذين تم القبض عليهم في منازلهم ممثلين للشعب، لقد كانوا يتمتعون بحصانة، بحيث أضيفت إلى جريمة انتهاك حقوقهم هذه الخيانة العظمى، وانتهاك الدستور، ولم يكن هناك نقص في الوقاحة في ارتكاب هذه الاعتداءات، لقد استمتع عملاء الشرطة بها، وكان بعض هؤلاء الزملاء المضحكين يمزحون أثناءها، وفي مازاس، سخر السجانون من تيير، ووبخهم ناداود بشدة، وأيقظ السيد هيوباو الأصغر الجنرال بيدو صائحًا:

– "أيها الجنرال، أنت سجين."

– "أنا لي حصانة"

– "حصانتك ما لم يتم القبض عليك متلبسًا بفعل سيئ"

– "حسنًا" قال بيدو، وأضاف: "لقد تم القبض علي متلبسًا بفعل شنيع هو النوم."

وأمسكوه من ياقته وسحبوه إلى العربة، عند لقائهما معًا في مازاس، أمسك نادود بيد غريبو، وأمسك لاغرانج بيد لاموريسيير، وأضحك ذلك رجال الشرطة.

وكان هناك عقيد اسمه ثيريون يرتدي زي القائد، ويعلق الصليب حول رقبته، ساعد في وضع الجنرالات والنواب في السجن، قال له شاراس: "انظر إلى وجهي"، لكن تيريون أشاح وجهه بعيدًا عنه.

وهكذا، ومن دون احتساب الاعتقالات الأخرى التي تمت لاحقًا، فقد تم في ليلة الثاني من ديسمبر/كانون الأول سجن ستة عشر نائبًا وثمانية وسبعين مواطنًا، وقدم العميلان المسئولان عن تنفيذ تلك الجريمة تقريرًا عنها إلى لويس بونابرت، حيث استعمل مورني كلمة "محاصر"، واستعمل موباس كلمة "محتجز"، الأول باللهجة المستخدمة في غرفة الرسم، والآخر باللهجة المستخدمة في المطابخ، إنها فروق دقيقة للغة.

الفصل الخامس: ظلام الجريمة

لقد تركني فيرسيني للتو، وبينما كنت أرتدي ملابسي على عجل، جاء رجل كنت أثق به كل الثقة، لقد كان صانعًا فقيرًا للخزائن، عاطلًا عن العمل اسمه جيرار، وقد آويته في إحدى غرف منزلي، وهو نحات خشب، وغير أمي، لقد جاء من الشارع؛ كان يرتجف، فقلت: "حسنًا، ماذا يقول الناس؟" أجابني جيرار: "الناس في حالة ذهول، لقد وجهت الضربة بطريقة لا يمكن استيعابها، يقرأ العمال اللافتات، ولا يقولون شيئًا، ويذهبون إلى عملهم، واحد فقط من كل مائة يتحدث، كأنهم يقولون: (جيد!) هكذا يبدو لهم، تم إلغاء قانون ٣١ مايو – (أحسنت!) إعادة تأسيس حق الاقتراع العام ـ (أحسنت أيضًا!) لقد تم إبعاد الأغلبية الرجعية – (رائع!) تم القبض على تيير – (ممتاز!) تم الاستيلاء على شانغارنييه – (برافو!) يوجد حول كل لافتة من يصفق لها، يشرح راتابويل انقلابه لجاك بونهوم، جاك بونهوم يستوعب كل شيء، باختصار، لديّ انطباع بأن الناس أعطوا موافقتهم".

– قلت: "فليكن الأمر كذلك"، سألني جيرار: "لكن ماذا ستفعل يا سيد فيكتور هوجو؟" أخذت وشاح منصبي من المكتب الخاص بي من الخزانة، وأظهرته له، هو فهم مقصدي، ثم تصافحنا، وعندما

خرج دخل كاريني، العقيد كاريني رجل مقدام، كان يقود سلاح الفرسان تحت ميروسلافسكي في تمرد صقلية، وقد كتب عن هذا بضع صفحات مؤثرة وحماسية، تحكي قصة تلك الثورة النبيلة، كاريني هو أحد هؤلاء الإيطاليين الذين يحبون فرنسا مثلنا الفرنسيون يحبون إيطاليا. لكل رجل طيب القلب في هذا القرن وطنان: روما الأمس وباريس اليوم.

قال لي كاريني: "الحمد لله، أنت لا تزال حرًا"، وأضاف: "لقد تم توجيه الضربة بطريقة هائلة، لقد تم الاستيلاء على الجمعية، لقد جئت من هناك، ساحة الثورة، والأرصفة، والقصر الملكي، والشوارع، كلها مزدحمة بالقوات، الجنود يحملون حقائبهم، يتم تجهيز العربات، إذا حدث قتال فسيكون عملاً يائسًا."

أجبته: "سيكون هناك قتال"، وأضفت ضاحكًا: "لقد أثبتَّ أن القادة العسكريين يكتبون كالشعراء؛ والآن حان دور الشعراء ليقاتلوا مثل القادة العسكريين." دخلت غرفة زوجتي، لم تكن تعرف شيئًا، وكانت تقرأ ورقتها بهدوء في السرير، أخذت معي حوالي خمسمائة فرنك بالذهب، وضعت على سرير زوجتي صندوقا يحتوي على تسعمائة فرنك، كل الأموال التي بقيت لي، وأخبرتها بما حدث، أصبحت شاحبة وقالت لي: "ما كنت تنوي القيام به؟"، أجبت: "واجبي"، احتضنتني ولم تقل إلا كلمتين: "افعلها". فطوري كان

جاهزًا، أكلت منه قطعة في لقمتين، ولما انتهيت دخلت ابنتي، فذهلت من طريقة تقبيلها، وسألتني: ما الأمر؟، قلت: "والدتك سوف تشرح لك"، وتركتهم.

كان شارعنا لاتور دوفيرني هادئًا ومهجورًا كعادته، ومع ذلك، كان هناك أربعة عمال يتحدثون بالقرب من باب منزلي؛ تمنوا لي "صباح الخير"، رفعت صوتي إليهم قائلًا: "هل تعلمون ما الذي يحدث؟"، قالوا: "نعم"، قلت: "حسنًا، إنها خيانة! لويس بونابرت يخنق الجمهورية والشعب يتعرض للهجوم، يجب على الشعب أن يدافع عن نفسه".

قالوا: "سوف يدافعون عن أنفسهم."، قلت: "هل تعدونني بذلك؟"، أجابوا: "نعم"، وأضاف أحدهم: "نقسم على ذلك"، لقد أوفوا بوعدهم، أقيمت المتاريس في الشارع الذي أعيش فيه (شارع لاتور دوفيرني)، في شارع الشهداء، في سيتي روديـر، في شارع كوكينارد، وفي نوتردام دي لوريت.

الفصل السادس: لافتات

عند مغادرتي هؤلاء الرجال الشجعان، تمكنت من قراءة اللافتات الثلاث سيئة السمعة التي تم تعليقها على جدران باريس أثناء الليل، عند زاوية شارع أوفيرني وشارع الشهداء. ها هم: "إعلان رئيس الجمهورية" – "نداء إلى الشعب: أيها الفرنسيون! إن الوضع الحالي لا يمكن أن يستمر أكثر من ذلك، فكل يوم يمر يزيد من المخاطر التي تواجه البلاد، لقد أصبحت الجمعية، التي ينبغي أن تكون أقوى دعم للنظام، بؤرة للمؤامرات، ولاء ثلاثمائة من أعضائها لم يتمكن من أن يوقف توجهاتها القاتلة، وبدلاً من سن القوانين لتحقيق المصلحة العامة، فإنها تصنع أسلحة للحرب الأهلية؛ إنها تهاجم السلطة التي أمتلكها مباشرة من الشعب، وتشجع أعمال الشغب، وتهدد استقرار فرنسا؛ وقد حللتها وجعلت الشعب كله حكمًا بيني وبينها."

لقد تم إنشاء الدستور، كما تعلمون، بهدف إضعاف السلطة التي كنتم على وشك أن تمنحوني إياها مسبقًا، وقد شكلت ستة ملايين من الأصوات احتجاجًا قويًا ضدها، ومع ذلك فقد احترمتها بإخلاص، لقد وجدتني الاستفزازات والافتراءات والاعتداءات غير متأثر بها، ومع ذلك، الآن، بعد أن لم يعد الميثاق الأساسي

محترمًا من قبل هؤلاء الرجال أنفسهم الذين يستشهدون به باستمرار، وأن الرجال الذين دمروا مملكتين يرغبون في تقييد يدي من أجل الإطاحة بالجمهورية، واجبي هو إحباط مخططاتهم الغادرة، والحفاظ على الجمهورية، وإنقاذ البلاد من خلال الاستئناف إلى الحكم الرسمي للسيادة الوحيدة التي أعترف بها في فرنسا – الشعب.

لذلك فإنني أوجه نداء صادقًا إلى الأمة بأكملها، وأقول لكم: إذا كنتم ترغبون في أن تستمر حالة عدم الارتياح هذه التي تحط من قدرنا وتعرض مستقبلنا للخطر، فاختاروا شخصًا آخر مكاني، لأنني لن أحتفظ بعد الآن بالقوة العاجزة عن فعل الخير، والتي تجعلني مسؤولاً عن أفعال لا أستطيع منعها، والتي تقيدني بالدفة عندما أرى السفينة تتجه نحو الهاوية. من ناحية أخرى، إذا كنتم لا تزالون تثقون بي، ، أعطوني وسائل تحقيق المهمة العظيمة التي أحملها منكم. وتتمثل هذه المهمة في اختتام عصر الثورات، من خلال تلبية الاحتياجات المشروعة للشعب، وحمايته من المشاعر التخريبية، كما تتمثل هذه المهمة، قبل كل شيء، في إنشاء مؤسسات تبقى بعد البشر، والتي يجب أن تشكل في الواقع الأسس التي يقوم عليها الذي يمكن إنشاء شيء دائم، واقتناعًا مني بأن عدم استقرار السلطة، ورجحان جمعية واحدة، هي

الأسباب الدائمة للاضطراب والخلاف، أطرح على تصويتكم الأسس الأساسية التالية للدستور الذي ستضعه الجمعيات في وقت لاحق:-

١- رئيس مسؤول يعين لمدة عشر سنوات.

٢- الوزراء يعتمدون على السلطة التنفيذية وحدها.

٣- مجلس الدولة يتكون من أبرز الرجال الذين يقومون بإعداد القوانين ودعمها في المناقشة أمام الهيئة التشريعية.

٤- هيئة تشريعية تناقش القوانين وتصوت عليها، وتُنتخب بالاقتراع العام، دون تدقيق في القائمة، مما يؤدي إلى تزوير الانتخابات.

٥- تتألف الجمعية الثانية من ألمع رجال البلاد، وهي قوة توازن حامية الميثاق الأساسي والحريات العامة.

هذا النظام، الذي أنشأه القنصل الأول في بداية القرن، قد أعطى بالفعل الراحة والازدهار لفرنسا، وسيظل يؤمنها لها، وهذه هي قناعتي الراسخة، فإذا كنتم تشاطروونني إياها، أعلنوها بأصواتكم، وإذا كنتم، على العكس من ذلك، تُفضّلون حكومة بلا قوة، ملكية أو جمهورية، مأخوذة من أي ماض غير معروف، أو من أي مستقبل وهمي، ستجيبون بالنفي. وهكذا، ولأول مرة منذ

عام ١٨٠٤، ستصوتون وأنتم على دراية تامة بالظروف، وتعرفون على وجه التحديد لمن ولأي غرض.

وإذا لم أحصل على أغلبية أصواتكم، فسأدعو جمعية جديدة وأضع بين يديها التفويض الذي تلقيته منكم. ولكن إذا كنتم تؤمنون بالقضية التي يرمز لها اسمي، وهذا يعني أن فرنسا التي تجددت من خلال ثورة ١٧٨٩، والتي نظمها الإمبراطور، يجب أن تظل ملكًا لكم، وأن تعلنوا ذلك من خلال الموافقة على الصلاحيات التي أطلبها منكم. وعندها سيتم الحفاظ على فرنسا وأوروبا من الفوضى، وستتم إزالة العقبات، وسوف تختفي المنافسات، لأن الجميع سيحترمون قرار الشعب.

مرسوم العناية الإلهية

صدر في قصر الإليزيه، ٢ ديسمبر، ١٨٥١

"لويس نابليون بونابرت."

إعلان رئيس الجمهورية للجيش:-

- "أيها الجنود، كونوا فخورين بمهمتكم، فإنكم ستنقذون البلاد، فأنا أعول عليكم ألا تخالفوا القوانين، بل أن تفرضوا احترام القانون الأول للبلاد، وهو السيادة الوطنية، التي أنا ممثلها الشرعي. لقد عانيتم، مثلي، منذ فترة طويلة من عقبات تعارضت مع الخير الذي كنت أرغب في القيام به، ومع إظهار تعاطفكم لصالحي،

وقد تم كسر هذه العقبات، لقد حاولت الجمعية مهاجمة السلطة التي تسيطر على الأمة بأكملها، لكنها الآن اختفت من الوجود.

إنني أوجه نداء مخلصًا إلى الشعب والجيش، وأقول لهم: إما أن تمنحوني وسائل تأمين بلادكم. الرخاء، أو اختيار آخر في مكاني، في عام ١٨٣٠، كما في عام ١٨٤٨، تمت معاملتكم كرجال مهزومين، بعد أن وصفوكم باللامبالاة البطولية، وازدروا استشارة تعاطفكم وأمنياتكم، وأنتم زهرة الوطن. واليوم، في هذه اللحظة المهيبة، أنا مصمم على أن يُسمع صوت الجيش، لذلك، قوموا بالتصويت بحرية كمواطنين، ولكن كجنود، لا تنسوا أن الطاعة العمياء لأوامر رئيس الدولة هي واجب صارم على الجيش، من الجنرال إلى الجندي الخاص، إنه بالنسبة لي، أنا المسؤول عن أفعالي تجاه الشعب والأجيال القادمة، أن أتخذ تلك التدابير التي قد تبدو لي لا غنى عنها من أجل الصالح العام. أما أنت، فابق ثابتًا ضمن قواعد الانضباط والشرف، من خلال موقفكم المهيب ساعدوا البلاد على إظهار إرادتها بهدوء وتفكير، كونوا مستعدين لقمع كل هجوم على الممارسة الحرة لسيادة الشعب.

أيها الجنود، أنا لا أتحدث إليكم عن الذكريات التي يذكرها اسمي، وهي محفورة في قلوبكم نحن متحدون بروابط لا تنفصم،

تاريخكم هو لي، إن بيننا، في الماضي، مجتمع المجد والشقاء، وسيكون هناك في المجتمع المستقبلي مشاعر وقرارات من أجل راحة فرنسا وعظمتها.

صدر في قصر الإليزيه،

في الثاني من ديسمبر عام ١٨٥١.

توقيع: إل إن بونابرت. باسم الشعب الفرنسي.

يقرر رئيس الجمهورية ما يلي:-

- المادة الأولى: يُحل مجلس الأمة.

- المادة الثانية: إعادة تأسيس الاقتراع العام، وتم إلغاء قانون ٣١ مايو.

- المادة الثالثة: ويجتمع الشعب الفرنسي في دوائره الانتخابية في الفترة من ١٤ ديسمبر إلى ٢١ ديسمبر التالي.

- المادة الرابعة: يتم إعلان حالة الحصار في منطقة الفرقة العسكرية الأولى.

- المادة الخامسة: يُحل مجلس الدولة.

- المادة السادسة: وزير الداخلية مكلف بتنفيذ هذا المرسوم.

صدر في قصر الإليزيه، ٢ ديسمبر، ١٨٥١.

لويس نابليون بونابرت.

دي مورني، وزير الداخلية.

الفصل السابع: المبنى رقم ٧٠، شارع بلانش

من الصعب إلى حد ما العثور على سيتي جايارد، إنه زقاق مهجور في ذلك الحي الجديد الذي يفصل شارع الشهداء عن شارع بلانش. ومع ذلك وجدته، ولكن عندما وصلت إلى المبنى رقم ٤، خرج إيفان من البوابة وقال: "أنا هنا لتحذيرك، الشرطة تراقب هذا المنزل، ميشيل ينتظرك في المبنى رقم ٧٠، شارع بلانش، على بعد خطوات قليلة من هنا."

كنت أعرف المبنى رقم ٧٠، شارع بلانش، مانين، رئيس جمهورية البندقية الشهير، كان يعيش هناك. ومع ذلك، لم يكن الاجتماع في غرفته، طلب مني بواب المبنى رقم ٧٠ أن أذهب حتى الطابق الأول، فُتح الباب، وظهرت امرأة جميلة ذات شعر رمادي تبلغ من العمر حوالي أربعين عامًا، قادتني البارونة كوبينز، التي رأيتها في المجتمع وفي منزلي، إلى غرفة المعيشة، وكان ميشيل دي بورجيه وألكسندر راي حاضرين هناك، وكان الأخير نائبًا سابقًا، وكاتبًا فصيحًا، ورجلًا شجاعًا، في ذلك الوقت قام ألكسندر راي بتحرير صحيفة ذا ناشيونال.

صافحني ميشيل وقال لي: "هوغو، ماذا ستفعل؟" أجبته: "كل شيء"، قال: "وهذا أيضًا رأيي". وصل العديد من النواب، ومن

بينهم بيير ليفرانك، ولابروس، وتيودور باك، ونويل بارفيه، وأرنولد (دي لاريج)، وديموستينيس أوليفييه، وهو نائب سابق، وشارامول، كان هناك سخط عميق لا يوصف، ولكن لم يتم التحدث بكلمات عديمة الفائدة، لقد كان الجميع مشبعين بهذا الغضب الرجولي الذي من أجله صدرت القرارات العظيمة.

لقد تحدثوا، وعرضوا الوضع، فأتى كل منهم بالأخبار التي علمها، وجاء تيودور باك من ليون فوشير، الذي عاش في شارع بلانش كان هو الذي أيقظ ليون فوشير وأبلغه بالخبر، الكلمات الأولى لليون فوشير كانت: "إنه عمل مشين"، منذ اللحظة الأولى، أظهر شاراموللي شجاعة لم تضعف أبدًا خلال أيام النضال الأربعة، شاراموللي رجل طويل جدًا، يتمتع بملامح قوية وبلاغة مقنعة؛ لقد صوت لصالح اليسار، لكنه جلس مع اليمين، في الجمعية كان جارًا لمونتاليمبيرت ورانسي، وكان أحياناً يدخل معهم في خلافات دافئة، كنا نشاهدها من بعيد، وكانت تسلينا.

جاء شاراموللي إلى الاجتماع في المبنى رقم ٧٠ وهو يرتدي عباءة عسكرية من القماش الأزرق، ومسلحًا، كما اكتشفنا لاحقًا، كان الوضع خطيرًا، فقد تم اعتقال ستة عشر نائبًا، وجميع جنرالات الجمعية، وشاراس الذي كان أكثر من مجرد جنرال، وتم قمع جميع المجلات، واحتل الجنود جميع مكاتب الطباعة، وكان

إلى جانب بونابرت جيش قوامه ٨٠ ألف رجل يمكن مضاعفته في بضع ساعات؛ ومن جانبنا لا شيء، لقد خدع الناس، علاوة على ذلك، تم نزع سلاحهم، حتى التلغراف أمسى تحت سلطتهم.

جميع الجدران مغطاة باللافتات الخاصة بهم، وليس تحت تصرفنا أي علبة طباعة، ولا ورقة واحدة، لا توجد وسيلة لرفع الاحتجاج، ولا وسيلة لبدء القتال، كان الانقلاب يرتدي الدروع، وكانت الجمهورية عارية؛ كان للانقلاب بوق ناطق، وارتدت الجمهورية كمامة، ما الذي ينبغي القيام به؟ الغارة ضد الجمهورية، ضد الجمعية، ضد الحق، ضد القانون، ضد التقدم، ضد الحضارة، كانت بقيادة جنرالات أفارقة، لقد أثبت هؤلاء الأبطال للتو أنهم جبناء، لقد اتخذوا احتياطاتهم بشكل جيد، الخوف وحده يمكن أن يولد الكثير من المهارة.

لقد اعتقلوا جميع رجال الحرب في الجمعية، وجميع رجال العمل اليساريين، باون، تشارلز لاغرانج، ميوت، فالنتين، نادود، شولات، أضف إلى ذلك أن كل رؤساء المتاريس المحتملين كانوا في السجن. لقد ترك منظمو هذا الكمين جول فافر، وميشيل دي بورجيه، وأنا، أحرارًا، معتبرين أننا أقل نشاطًا من رجال صحيفة تريبيون؛ هم يرغبون في ترك رجال اليسار قادرين على المقاومة،

لكنهم غير قادرين على النصر، على أمل إهانة شرفنا إذا لم نقاتل، وإطلاق النار علينا إذا قاتلنا، ومع ذلك، لم يتردد أحد.

وبدأت المشاورة، كان النواب الآخرون يصلون كل دقيقة، إدغار كوينيه، ودوتري، وبيليتييه، وكاسال، وبروكنر، وبودين، وشوفور، كانت الغرفة ممتلئة، بعضهم كان جالسًا، وأغلبهم واقفين، في حيرة، ولكن دون ضجة، لقد كنت أول من تكلم، قلت إن النضال يجب أن يبدأ على الفور، ضربة لضربة، لقد كان رأيي أن مائة وخمسين من ممثلي اليسار يجب أن يرتدوا حجابهم الرسمي، وأن يسيروا في موكب عبر الشوارع والجادات حتى مادلين، وهم يهتفون "تحيا الجمهورية! يعيش الدستور!" يجب أن يظهروا أمام القوات، وحدهم، هادئين وغير مسلحين، يجب أن يستدعون القوة لإطاعة الحق، وإذا استسلم الجنود، فعليهم أن يذهبوا إلى الجمعية ويقضوا على لويس بونابرت، وإذا أطلق الجنود النار على مشرعيهم، فيتعين عليهم أن يتفرقوا في جميع أنحاء باريس، ويهتفوا "إلى السلاح"، ويلجأوا إلى المتاريس، المقاومة يجب أن تبدأ دستوريًا، وإذا فشلت، يجب أن تستمر ثوريًا، لم يكن هناك وقت لنضيعه.

قلت: "الخيانة العظمى يجب أن يتم القبض عليها متلبسًا، ومن الخطأ الكبير أن تعاني من مثل هذا الغضب حتى يتم قبوله مع

مرور الساعات، وكل دقيقة تمر هي شريك، وتؤيد الجريمة، احذروا من تلك المصيبة التي تسمى (الأمر الواقع)، هيا إلى السلاح!"

أيد الكثيرون هذه النصيحة بحرارة، ومن بينهم إدغار كوينيه، وبيليتييه، ودوتري، واعترض ميشيل دي بورجيه بشدة، وكانت غريزتي هي أن أبدأ على الفور، وكانت نصيحته هي الانتظار والترقب، ووفقًا لوجهة نظره: هناك خطر في التسرع، بل كارثة، لقد تم تنظيم الانقلاب، ولكن الشعب لم يكن كذلك، لقد أخذوا على حين غرة، يجب ألا ننغمس في الأوهام، ولم تتمكن الجماهير من التحرك بعد، الهدوء التام يسود في المناطق الشعبية، المفاجأة كانت موجودة، نعم؛ لكن الغضب، لا. شعب باريس، على الرغم من ذكائه الشديد، لم يستوعب الأمر بعد.

وأضاف ميشيل: "نحن لسنا في عام ١٨٣٠، تشارلز العاشر عندما خرج لمواجهة الـ ٢٢١ نائبًا، عرض نفسه لهذه الضربة، وتمت إعادة انتخاب الـ ٢٢١، نحن لسنا في نفس الوضع، كان النواب الـ ٢٢١ مشهورين بين العامة، لكن الجمعية الحالية ليست كذلك: فالمجلس الذي تم حله بطريقة مهينة من المؤكد أنه سينتصر دائمًا، إذا دعمه الشعب، وهكذا نهض الشعب عام ١٨٣٠، واليوم ينتظرون، إنهم مغفلون حتى يصبحوا ضحايا".

وخلص ميشيل دي بورجيه إلى أنه "يجب منح الشعب الوقت ليفهم، ليغضب، لينهض، أما نحن، حضرة النائب، فينبغي أن لا نتسرع في التعجيل بإشعال الموقف، إذا زحفنا مباشرة نحو القوات، فلسوف يتم إطلاق النار علينا دون أي هدف، وبالتالي سيتم حرمان الانتفاضة المجيدة من أجل الحق من زعيمها الطبيعي – ممثلي الشعب، وإنما يجب علينا قطع رأس الجيش الشعبي، على العكس من ذلك، سيكون التأخير المؤقت مفيدًا، يجب الحذر من الحماسة المفرطة، وضبط النفس ضروري، فالتنازل يعني خسارة المعركة قبل أن تبدأها، وبالتالي، على سبيل المثال، يجب ألا نحضر الاجتماع الذي أعلنه اليمين ظهرًا، وسيتم اعتقال كل من ذهب إلى هناك، يجب أن نبقى أحرارًا، ويجب أن نبقى في حالة استعداد، ويجب أن نبقى هادئين، ويجب أن نتحرك في انتظار مجيء الشعب، أربعة أيام من هذه الاضطرابات دون قتال من شأنها أن تُرهق الجيش بالتحريض دون قتال".

لكن ميشيل نصح أن نبدأ ببساطة بتعليق المادة ٦٨ من الدستور في الأماكن العامة، ولكن أين يمكن العثور على طابعة؟ تحدث ميشيل دي بورجيه بخبرته بالإجراءات الثورية التي كانت غائبة عني، لقد اكتسب طوال سنوات عديدة معرفة عملية معينة بالجماهير، وكان مجلسه حكيمًا، ويجب أن أضيف أن كل

المعلومات التي وصلت إلينا أيدته، وبدت قاطعة ضدي، كانت باريس مكتئبة، غزاها جيش الانقلاب بسلام، وحتى اللافتات لم يتم تمزيقها، وافق جميع النواب الحاضرين تقريبًا، حتى الأكثر جرأة، على نصيحة ميشيل بالانتظار ورؤية ما سيحدث، وقالوا: "في الليل، سيبدأ الاضطراب"، وخلصوا، مثل ميشيل دي بورجيه، إلى أنه يجب منح الناس الوقت ليفهموا، سيكون هناك خطر أن تكون وحيدًا في بداية متسرعة جدًا.

لا ينبغي أن نحمل الناس معنا في اللحظة الأولى، فلنترك السخط يتزايد شيئًا فشيئًا في قلوبهم، إذا بدأنا قبل الأوان فإن ظهورنا سوف يفشل، كانت هذه مشاعر الجميع، بالنسبة لنفسي، عندما كنت أستمع إليهم، شعرت بالاضطراب، ربما كانوا على حق، سيكون من الخطأ إعطاء إشارة القتال دون جدوى، ما فائدة البرق الذي لا تتبعه الصاعقة؟ لرفع الصوت، للتنفيس عن الصراخ، للعثور على الطابعة، كان هناك السؤال الأول: ولكن هل كانت لا تزال هناك صحافة حرة؟

دخل القائد السابق الشجاع للفيلق السادس، الكولونيل فوريستير، وأخذنا أنا وميشيل دي بورجيه جانبًا، وقال لنا: "اسمعا، لقد أتيت إليكم، لقد تم طردي، لم أعد أقود فيلقي، ولكنهم عينوني باسم اليسار، قائدًا للفيلق السادس، وقعوا لي أمرًا وسأذهب على

الفور وأدعوهم إلى حمل السلاح، لمدة ساعة سيكون الفوج في حالة استنفار"

أجبته: "أيها العقيد، سأفعل أكثر من مجرد التوقيع على أمر، سأرافقك"، والتفتُّ نحو شارامول، الذي كان لديه عربة في الانتظار، قال فوريستير: "تعال معنا"، كان متأكدًا من وجود اثنين من الرائدين من الفوج السادس، قررنا القيادة إليهما في الحال، بينما يجب على ميشيل والنواب الآخرين الانتظار في بونفاليه، في بوليفارد دو تمبل، بالقرب من مقهى تورك. هناك يمكنهم التشاور معًا.

بدأنا، واجتزنا باريس، حيث بدأ الناس بالفعل في الاحتشاد بطريقة تهديدية، وكانت الشوارع مكتظة بحشود غير مستقرة، سار الناس ذهابًا وإيابًا، واقترب المارة من بعضهم البعض دون أي معرفة سابقة، وهي علامة جديرة بالملاحظة على القلق العام؛ وتحدثت المجموعات بأصوات عالية في زوايا الشوارع، وكانت المحلات التجارية مغلقة، صاح شارامول: "تعال، هذا يبدو أفضل"، كان يتجول في المدينة منذ الصباح، وقد لاحظ بحزن لامبالاة الجماهير، لقد وجدنا الرائدين في المنزل، اللذين كان الكولونيل فوريستير يعول عليهما، لقد كانا اثنين من تجار الكتان الأثرياء، واستقبلونا بشيء من الحرج.

كان أصحاب المتاجر قد تجمعوا عند النوافذ وشاهدونا ونحن نمر، لقد كان مجرد فضول، وفي هذه الأثناء ألغى أحد الرائدين الرحلة التي كان سيقوم بها في ذلك اليوم، ووعدنا بتعاونه، وأضاف: "لكن، لا تخدعوا أنفسكم، يمكن للمرء أن يتوقع أننا سوف نقطع إلى أشلاء، عدد قليل من الرجال سوف يخرجون". قال لنا العقيد فوريستيير: "واترين، القائد الحالي للفرقة السادسة، لا يهتم بالقتال؛ ربما سيسلمني القيادة وديًا، سأذهب وأجده بمفرده، حتى لا أخيفه كثيرًا، ثم أنضم إليكم في بونفاليه".

بالقرب من بورت سانت مارتن، تركنا عربتنا، وواصلنا أنا وشاراموال السير على طول الشارع سيرًا على الأقدام، من أجل مراقبة المجموعات عن كثب، وللحكم بسهولة أكبر على مظهر الحشد، أدت التسوية الأخيرة للطريق إلى تحويل شارع بورت سانت مارتن إلى نفق عميق محاط بجدران ترابية، على قمم هذه الجدران كانت هناك ممرات مزودة بحواجز حديدية، وكانت العربات تسير على طول النفق، وكان الركاب يسيرون على طول الممرات، بمجرد وصولنا إلى الجادة، دخل رتل طويل من المشاة إلى هذا الوادي مع قارعي الطبول على رؤوسهم.

ملأت موجات الحراب الكثيفة ساحة سانت مارتن، وتاهت في أعماق شارع بون نوفيل، غطى حشد هائل ومضغوط رصيفي

شارع بوليفارد سانت مارتن، وكان هناك عدد كبير من العمال بقمصانهم، متكئين على الدرابزين، في اللحظة التي دخل فيها رأس الطابور إلى الوادي أمام مسرح بورا سانت مارتن انطلقت صرخة هائلة تقول: "تحيا الجمهورية" تخرج من كل فم كأنما هتاف رجل واحد، واصل الجنود التقدم في صمت، ولكن كان من الممكن القول إن سرعتهم تباطأت، وكان كثيرون منهم ينظرون إلى الحشد بجو من التردد.

ماذا تعني صرخة "تحيا الجمهورية" هذه! هل كان هذا علامة إعجاب؟ هل كانت صرخة تحدٍ؟ بدا لي في تلك اللحظة أن الجمهورية رفعت حاجبها، وأن الانقلاب يخفض رأسه.

وفي هذه الأثناء قالت لي شارامول: "لقد تم التعرف عليك"، في الواقع، بالقرب من شاتو دو إيو أحاط بي الحشد، وصرخ بعض الشباب: "يحيا فيكتور هوغو!" سألني أحدهم: "أيها المواطن فيكتور هوغو، ماذا علينا أن نفعل؟" أجبته: "أزيلوا لافتات الانقلاب المثيرة للفتنة، واهتفوا: يحيا الدستور!"، وقال عامل شاب: "وهل نفترض أنهم سيطلقون النار علينا؟" قال عامل شاب. قلت: "سوف تسرعون إلى حمل السلاح." صاح الحشد: "أحسنت!" وأضفت: "لويس بونابرت متمرد، لقد غمس نفسه اليوم في كل جريمة، نحن، نواب الشعب، نعلنه خارجًا عن القانون، ولكن لا

داعـي لإعلاننـا، فهـو خـارج عـن القـانون لمجـرد خيانتـه، أيهـا المواطنون، لـديكم يـدان؛ خـذ يمينك بـالأخرى، وبندقيتك بـالأخرى، وأسقطوا بونابرت."، صرخ الناس مرة أخرى: "برافو! برافو!"

وقال لـي تـاجر كـان يغلق متجره: "لا تتحدث بصوت عالٍ، إذا سـمعوك تتحـدث بهـذه الطريقـة، فسيطلقون عليـك النـار"، أجبتـه: "حسنًا، إذن، سيتم عرض جسدي، وسيكون موتي نعمة إذا كـان مـن الممكـن أن تـنجم عنـه عدالـة الله."، وهتـف الجميـع "يعـيش فيكتـور هوغـو!"، قلـت أنـا بـصيحة عظيمـة: "الدسـتور، يحيـا الدستور!"، هتفوا: "تحيا الجمهوريـة"، وخرجت الـصيحة من كـل صـدر، وومـض الحمـاس والـسخط والغـضب فـي وجـوه الجميـع، اعتقـدت حينهـا، ومـا زلـت أعتقـد، أن هـذه ربمـا كانـت اللحظـة الأسمى، لقد شـعرت بـإغراء تنفيذ كـل شـيء بهـذا الحـشد، وبـدء المعركة. منعني شارامول، وهمس لـي: "سوف تجلب حشدًا عديم الفائدة، لا أحد منهم مسلح، والمشاة على بعد خطوتين فقط منا، وانظر، ها هي المدفعية تأتي".

نظرت حولي، وفي الحقيقة ظهرت عدة قطع من المدافع في هرولـة سـريعة مـن شـارع دي بونـدي، خلـف شـاتو دو، النـصيحة بالامتنـاع عـن الهتـاف التـي قـدمها لـي شـارامول، تركـت انطباعًـا عميقًـا علـيَّ، نظـرًا لأنـه يـأتي مـن مثـل هـذا الرجـل، وهـو شـخص

شجاع جدًا، فمن المؤكد أنه لا يمكن التشكيك فيه، بالإضافة إلى ذلك، شعرت بنفسي مقيدًا بالمداولات التي بدأت للتو مكان في الاجتماع في شارع بلانش. لقد انكمشت أمام المسؤولية التي كان يجب أن أتحملها، إن الاستفادة من هذه اللحظة ربما كان بمثابة انتصار، وربما كان أيضًا بمثابة مذبحة، هل كنت محقًا؟ أم كنت مخطئًا؟ لقد تجمعت الجماهير حولنا، وأصبح من الصعب المضي قدمًا، ومع ذلك، كنا حريصين على الوصول إلى الموعد في بونفاليه.

وفجأة لمسني أحدهم على ذراعي، كان ليوبولد دوراس، من صحيفة ذا ناشيونال، همس قائلاً: "لا تذهب أبعد من ذلك، مطعم بونفاليه محاصر، حاول ميشيل دي بورجيه مخاطبة الشعب، لكن الجنود جاءوا، وبالكاد نجح في الهروب، وتم القبض على العديد من النواب الذين حضروا الاجتماع، تراجع للوراء، فنحن نعود إلى مكان اللقاء القديم في شارع بلانش، لقد كنت أبحث عنك لأخبرك بهذا".

كانت سيارة أجرة تعبر بجوارنا، ونادى شاراموللي على السائق يستوقفه، وقفزنا إلى داخلها، وتبعنا الحشد وهم يصرخون: "تحيا الجمهورية! يعيش فيكتور هوغو!" يبدو أنه في تلك اللحظة فقط وصل سرب من رقباء المدينة إلى البوليفارد لإلقاء القبض عليَّ،

انطلق السائق بأقصى سرعة، وبعد ربع ساعة وصلنا إلى شارع بلانش.

الفصل الثامن: انتهاك حرمة البرلمان

عند الساعة السابعة صباحًا، كان جسر الكونكورد لا يزال خاليًا، وتم إغلاق البوابة الكبيرة لقصر الجمعية، ومن خلال القضبان، كان من الممكن رؤية درجات السلم، تلك السلالم التي أُعلنت منها الجمهورية في الرابع من مايو عام ١٨٤٨، مغطاة بالجنود؛ ويمكن تمييز أذرعهم المكدسة على المنصة خلف تلك الأعمدة العالية، والتي كانت خلال فترة انعقاد الجمعية التأسيسية، بعد ١٥ مايو و٢٣ يونيو، تخفي قذائف هاون جبلية صغيرة محملة ومدببة.

كان هناك بواب ذو ياقة حمراء، يرتدي زي الجمعية، يقف بجوار الباب الصغير للبوابة المسيجة، من وقت لآخر وصل النواب، البواب قال لهم: أيها السادة، هل أنتم النواب؟ ثم فتح لهم الباب. في بعض الأحيان كان يسأل عن أسمائهم، حتى يمكن لهم الدخول إلى مقر السيد دوبان من دون عوائق، وفي الرواق الكبير، في غرفة الطعام، في صالون الشرف التابع للرئاسة، فتح الحاضرون ذوو الكسوة الرسمية الأبواب بصمت كعادتهم.

وقبل بزوغ ضوء النهار، مباشرة بعد اعتقال النائبين باز وليفلو، أصبح السيد دي بانات، النائب الوحيد الذي ظل حرًا، بعد أن تم

إنقاذه أو ازدراءه بسبب انتمائه للحزب الملكي، وقد أيقظ السيد دوبان وتوسل إليه أن يستدعي النواب على الفور من منازلهم. رد السيد دوبان بهذه الإجابة غير المسبوقة: "أنا لا أرى أي ضرورة لذلك".

في نفس الوقت تقريبًا الذي وصل فيه السيد بانات، كان النائب جيروم بونابرت قد سارع إلى هناك، لقد استدعى السيد دوبان ليضع نفسه على رأس الجمعية، أجاب السيد دوبان: "لا أستطيع، أنا تحت الحراسة"، انفجر جيروم بونابرت ضاحكًا، في الواقع، لم يتفضل أحد بوضع حارس على باب السيد دوبان؛ لقد عرفوا أنه كان يحرسه لؤمه، ولم يشفقوا عليه إلا في وقت لاحق، عند الظهر، لقد شعروا أن الازدراء كان كبيرًا جدًا عليه،فخصصوا له حارسين.

في السابعة والنصف، خمسة عشر أو عشرين نائبًا، من بينهم السادة يوجين سو، وجوريه، ودي ريسيجيير، ودي تالهويت معًا في غرفة السيد دوبان، لقد تجادلوا أيضًا عبثًا مع السيد دوبان من أجل إقناعه، وقرب النافذة كاد عضو الأغلبية الذكي، السيد ديموسو دي جيفري، الذي كان أصمًا بعض الشيء وغاضبًا للغاية، أن يتشاجر مع نائب اليمين مثله، الذي افترض خطأً أنه مؤيد للانقلاب.

كان السيد دوبان، بعيدًا عن مجموعة النواب، بمفرده يرتدي ملابس سوداء، ويداه خلف ظهره، ورأسه مطأطئ في صدره، سار ذهابًا وإيابًا أمام المدفأة، حيث كانت هناك نار كبيرة مشتعلة، في غرفته الخاصة، وبحضوره، كانوا يتحدثون بصوت عالٍ عنه، ومع ذلك بدا أنه لم يسمع دخول عضوين من اليسار، هما بينوا (دو رون) وكريستين، دخل كريستين الغرفة، وتوجه مباشرة إلى السيد دوبان، وقال له: "سيدي الرئيس، هل تعلم ما الذي يحدث؟ كيف لم تنعقد الجمعية بعد؟" توقف السيد دوبان وأجاب بهز كتفيه المعتاد: «ليس هناك ما يمكن فعله»، واستأنف سيره. "هذا يكفي"، قال السيد دي ريسيجيير. وقال يوجين سو: "هذا كثير جدًا"، وغادر جميع النواب الغرفة.

في هذه الأثناء أصبح جسر الكونكورد مغطى بالقوات، ومن بينهم الجنرال فاست فيموكس، النحيل، العجوز، والصغير؛ كان شعره الأبيض الخفيف ملتصقًا على صدغيه، وهو يرتدي الزي الرسمي الكامل، وقبعته ذات الأربطة على رأسه، كان يحمل كتافتين ضخمتين، وعرض وشاحه، ليس وشاح ممثل، بل وشاح جنرال، وهو وشاح طويل جدًا يتخلف على الأرض، عبر الجسر سيرًا على الأقدام، وهو يصرخ للجنود بصرخات حماسية غير واضحة للإمبراطورية والانقلاب.

شوهدت مثل هذه الأشكال في عام ١٨١٤، فقط بدلاً من ارتداء كوكاردة كبير ثلاثي الألوان، ارتدوا كوكاردة أبيض كبيرًا، في الأساس هي نفس الظاهرة؛ كبار السن يبكون: "يحيا الماضي!" وفي نفس اللحظة تقريبًا، عبر السيد دي لاروشياكلين ساحة الكونكورد، محاطًا بمائة رجل يرتدون القمصان الرسمية، وتبعوه في صمت وبجو من الفضول، تم تشكيل العديد من أفواج سلاح الفرسان في شارع الشانزليزيه الكبير.

وفي الساعة الثامنة صباحًا، اقتحمت قوة هائلة القصر التشريعي، كل المداخل كانت محروسة، كل الأبواب مغلقة، ومع ذلك، نجح بعض النواب في اختراق القصر من الداخل، ليس عن طريق مرور منزل الرئيس على جانب ساحة المصابين، كما قيل خطأً، ولكن عن طريق الباب الصغير المؤدي لشارع بورغون، المسمى الباب الأسود، هذا الباب، لا أدري بأي إغفال أو بأي تواطؤ، ظل مفتوحًا حتى ظهر يوم الثاني من ديسمبر، ومع ذلك، كان شارع بورغوني مليئًا بالقوات، فرق من الجنود المنتشرة هنا وهناك في شارع الجامعة سمحت للمارة، الذين كانوا قليلين ومتباعدين، باستخدامه كطريق للمارة.

النواب الذين دخلوا من الباب في شارع بورغون، توغلوا حتى قاعة المؤتمرات، حيث التقوا بزملائهم القادمين من عند السيد

دوبان، تم تجميع مجموعة كبيرة من الرجال، الذين يمثلون كل أطياف الرأي في المجلس، بسرعة في هذه القاعة، وكان من بينهم السادة يوجين سو، ريتشارديت، فايول، جوريه، مارك دوفرايس، بينوا (دو رون)، كانيه، غامبون، داديلسوارد، كريك، ريبيلين، تيلارد لاتريس، رانتيون، الجنرال ليديت، بولين دوريو، تشاناي، بريليز، كولاس (دو لا جيروند)، مونيه، جاستون، فافريو، وألبرت دي ريسيجييه.

تواصل كل وافد جديد من السيد دي بانات، متسائلين: "أين نواب الرئيس؟" فيجيب: "في السجن."، "وماذا عن الأمينين الآخرين؟" فيضيف السيد دي بانات: "في السجن أيضًا. وأرجو منكم أن تصدقوا أيها السادة، أنه لا علاقة لي بالإهانة التي وجهت لي، بعدم إلقاء القبض علي معهم"، وكان السخط في ذروته، كان كل مستوى سياسي ممزوجًا بنفس مشاعر الازدراء والغضب، ولم يكن السيد دي ريسيجييه يقل حماسًا على الإطلاق عن السيد يوجين سو، ولأول مرة بدا أن الجمعية على قلب رجل واحد، وقال كل منهم بإسهاب ما رأيه في رجل الإليزيه، وبدا لهم في ذلك الحين أنه لفترة طويلة صنع لويس بونابرت لنفسه – بشكل غير محسوس – إجماعًا عميقًا في الجمعية على احتقاره.

وأوضح السيد كولاس (من جيروند) قصته، لقد جاء من وزارة الداخلية، وقد رأى السيد دي مورني، وتحدث معه؛ وكان السيد كولاس غاضبًا للغاية من جريمة السيد بونابرت، ومنذ ذلك الحين، جعلته تلك الجريمة مستشارًا للدولة، ذهب السيد دي بانات هنا وهناك بين المجموعات، ليعلن للممثلين أنه دعا الجمعية للانعقاد في الساعة الواحدة ظهرًا، لكن كان من المستحيل الانتظار حتى تلك الساعة التي يضغط فيها الزمن، في قصر بوربون، كما هو الحال في شارع بلانش، كان الشعور العام هو الذي يشعر به كل فرد، أن كل ساعة تمر تساعد على إنجاح الانقلاب، وكل واحد يلوم نفسه على ثقل صمته أوعن تقاعسه عن اتخاذ موقف؛ وكأنها حلقة حديدية تضيق عليهم، وأفواج الجنود تتدفق بلا توقف، وقد غزوا القصر بصمت؛ وفي كل لحظة، كان يتم العثور على حارس عند الباب، والذي كان حرًا قبل لحظة.

ومع ذلك، فإن مجموعة النواب المجتمعين معًا في قاعة المؤتمرات كانت تحظى بالاحترام حتى الآن، كان من الضروري العمل، والتحدث، والتأني، والنضال، وعدم إضاعة دقيقة واحدة، قال غامبون: "دعونا نجرب دوبان مرة أخرى؛ فهو رجلنا الرسمي، ونحن بحاجة إليه."، ذهبوا للبحث عنه، ولم يتمكنوا من العثور عليه، لم يعد هناك، لقد اختفى، كان بعيدًا، مختبئًا، جاثيًا،

منكمشًا، مختبئًا، لقد اختفى، لقد دُفن. أين؟ لا أحد يعلم، الجبن له ثقوب غير معروفة.

وفجأة دخل رجل القاعة، رجل كان غريبًا عن الجمعية، يرتدي الزي الرسمي، ويرتدي كتاف ضابط أعلى وسيفًا بجانبه، لقد كان رائدًا في الفيلق ٤٢، الذي جاء لاستدعاء النواب لترك مجلسهم، واندفع عليه الجميع، الملكيون والجمهوريون على حدٍ سواء، كان هذا هو التعبير عن شاهد عيان ساخط، خاطبه الجنرال ليديت بلغة تترك أثرًا على خده وليس على أذنه، تلعثم الضابط وقال: "أنا أقوم بواجبي، وأنفذ تعليماتي"، صاح ليديت في وجهه: "أنت أحمق، إذا كنت تعتقد أنك تؤدي واجبك، وأنت وغد وينبغي أن تعلم أنك ترتكب جريمة، ما اسمك؟ ماذا تسمي نفسك؟ أعطني اسمك"، ورفض الضابط ذكر اسمه، وأجاب: "إذن أيها السادة لن تنسحبوا؟" قالوا: "لا."، فقال لهم "سأخرجكم إذن بالقوة."، قالوا: "عليك القيام بذلك."

وخرج من الغرفة، وفعلاً ذهب ليحصل على أوامر من وزارة الداخلية، وانتظر النواب في ذلك النوع من الاضطراب الذي لا يوصف والذي يمكن أن يسمى مزج الحق بالعنف، وبعد وقت قصير، عاد أحدهم على عجل، وحذرهم من أن سريتين من الدرك المتنقل قادمون وبنادقهم في أيديهم، وأضاف مارك دوفرايس:

"ليصل الانتهاك إلى مداه، فليجدنا الانقلاب على مقاعدنا، فلنذهب إلى قاعة الجلسات". وأضاف: "بما أن الأمور قد وصلت إلى هذا الحد، فلنقدم المشهد الحقيقي والحيوي لمشهد الثامن عشر من برومير".

وانتقلوا جميعًا إلى قاعة الجمعية العامة، كان المرور متاحًا، فلم يكن الجنود قد احتلوا قاعة كازيمير بيرييه بعد، وكان عددهم نحو الستين، وكان العديد منهم يرتدون أوشحة مناصبهم، دخلوا القاعة متأملين، هناك، حث السيد دي ريسيجيير، بهدف جيد بلا شك، ومن أجل تشكيل مجموعة أكثر إحكامًا، على ضرورة تثبيت أنفسهم جميعًا على الجانب الأيمن، قال مارك دوفرايس: "لا، كل واحد إلى مقعده"، وتفرقوا في القاعة كل واحد في مكانه المعتاد، وكان السيد مونيه، الذي جلس على أحد المقاعد السفلية في يسار الوسط، يحمل في يده نسخة من الدستور.

لقد مرت عدة دقائق لم يتحدث فيها أحد، إنه صمت الانتظار الذي يسبق الأفعال الحاسمة والأزمات النهائية، والذي يبدو خلاله أن كل إنسان يستمع باحترام إلى آخر تعليمات ضميره، وفجأة ظهر على العتبة جنود الدرك المتنقل، وعلى رأسهم نقيب وسيفه مسلول، تم انتهاك قاعة الجمعية، نهض النواب من مقاعدهم في وقت واحد وهم يهتفون "تحيا الجمهورية!"، وظل الممثل مونيه

واقفا وحده، وبصوت عال وساخط، تردد في القاعة الفارغة مثل البوق، أمر الجنود بالتوقف.

توقف الجنود وهم ينظرون إلى النواب بنظرة حيرة، ولم يقم الجنود حتى الآن إلا بسد ردهة اليسار، ولم يتجاوزوا المنبر، ثم قرأ النائب مونيه المواد ٣٦ و٣٧ و٦٨ من الدستور، حيث تنص المادتان ٣٦ و٣٧ على حرمة النواب، وتنص المادة ٦٨ عزل الرئيس في حالة الخيانة، وكانت تلك اللحظة مهيبة، استمع الجنود في صمت، وبعد قراءة المقالات، التفت نحوهم النائب داديلسوارد، الذي جلس على المقعد السفلي الأول من اليسار، والذي كان الأقرب إلى الجنود، وقال: "أيها الجنود، ترون أن رئيس الجمهورية خائن، وسوف يجعل منكم خونة مثله، أنتم تنتهكون الحرم المقدس للتمثيل النيابي، وباسم الدستور، باسم القانون، نأمركم بالانسحاب."

وبينما كان أديلسوار يتحدث، دخل الرائد قائد قوات الدرك المتنقلة، وقال: "أيها السادة، لدي أوامر لأطلب منكم الانسحاب، وإذا لم تنسحبوا من تلقاء أنفسكم، فسوف نطردكم."، صاح أديلسوارد: "أوامر بطردنا!"؛ وأضاف جميع النواب، "أوامر مَن؟ دعونا نرى الأوامر، من الذي أصدر الأوامر؟" أخرج الرائد ورقة وفتحها، وما أن فتحها حتى حاول إعادة وضعها في جيبه، لكن

الجنرال ليديت ألقى بنفسه عليه وأمسك بذراعه، وانحنى العديد من النواب إلى الأمام، وقرأوا الأمر، أمر طرد الجمعية وقعه "فورتول، وزير البحرية.".

واستدار مارك دوفرايس نحو رجال الدرك وصرخ بهم: "أيها الجنود، إن مجرد وجودكم هنا هو عمل من أعمال الخيانة، غادروا القاعة!" بدا أن الجنود مترددون، وفجأة ظهر طابور ثانٍ من الباب على اليمين، وبإشارة من القائد صاح النقيب: "إلى الأمام! أخرجوهم جميعًا!" ثم بدأ قتال بالأيدي لا يوصف بين رجال الدرك والمشرعين، واقتحم الجنود، حاملين بنادقهم في أيديهم، مقاعد مجلس الشيوخ، وتم انتزاع ريبلين، وتشاناي، ورانتيون بالقوة من مقعده، واندفع اثنان من رجال الدرك نحو مارك دوفرايس، واثنان على غامبون، وحدث صراع طويل على المقعد الأول من اليمين، وهو نفس المكان الذي كان يجلس فيه السيد أوديلون بارو وأباتوتشي عادة، وقاوم بولين دوريو العنف بالقوة واحتاج إلى ثلاثة رجال لسحبه من مقعده، وتم إلقاء مونيه على مقاعد المفوضين، وأمسكوا أديلسوارد من حنجرته وأخرجوه خارج القاعة، وتم إلقاء ريتشارديت، وهو رجل ضعيف، على الأرض وعومل وحشية، وتم وخز البعض برؤوس الحراب، وكانت ملابس الجميع تقريبًا ممزقة، وصاح القائد بالجنود: "أخرجوهم".

وهكذا تم القبض على ستين من ممثلي الشعب من قبل الانقلاب، وطردوا من مقاعدهم، الطريقة التي تم بها تنفيذ الفعل أكملت الخيانة، وكان الأداء البدني يليق بالأداء المعنوي، وكان آخر ثلاثة أخرجوا هم فايول وتيلارد لاتريس وباولين دوريو، وسُمح لهم بالمرور من الباب الكبير للقصر، ووجدوا أنفسهم في ساحة بورغون.

وكانت منطقة بورغون قد تم احتلالها من قبل الفيلق ٤٢، بأوامر من العقيد غاردرن، وبين القصر وتمثال الجمهورية الذي كان يحتل وسط الساحة، وجهت قطعة مدفعية نحو الجمعية المقابلة للباب الكبير، بجانب المدفع كان بعض قوات فينسين يقومون بتحميل بنادقهم وقضم خراطيشها، وكان العقيد غاردرن يمتطي حصانًا بالقرب من مجموعة من الجنود، مما جذب انتباه النواب تيلارد–لاتريس، وفيول، وباولين دوريو، وفي وسط هذه المجموعة كان هناك ثلاثة رجال تم القبض عليهم وهم يناضلون ويهتفون: "عاش الدستور! تحيا الجمهورية!" فايول، وبولين دوريو، وتيلارد–لاتريس، اقترب السجناء الثلاثة وتعرفوا على الأعضاء الثلاثة من نواب الأغلبية، النواب توبيه دي فيني رادوبت ولافوس وأربي، وكان النائب أربي يحتج بحرارة، وبينما كان يرفع صوته، نهره الكولونيل غاردرن بهذه الكلمات، التي تستحق الحفاظ عليها:

"أمسك لسانك! كلمة واحدة أخرى، وسوف أضربك بمؤخرة البندقية".

وطالب ممثلو اليسار الثلاثة بسخط العقيد بالإفراج عن زملائهم، قال فايول: "أيها العقيد، لقد خرقت القانون ثلاث مرات"، وأجاب الكولونيل: "سأكسرها ستة أضعاف"، واعتقل فايول ودوريو وتيلارد–لاتريس، وأمر الجنود بنقلهم إلى دار حراسة القصر الذي كان يتم بناؤه آنذاك لوزير الخارجية، وفي الطريق، التقى السجناء الستة، الذين كانوا يسيرون بين ملف مزدوج من الحراب، بثلاثة من زملائهم النواب يوجين سو وتشاناي وبينويست (دو رون)، وقف يوجين سو أمام الضابط الذي قاد المفرزة وقال له: "تأمرك بإطلاق سراح زملائنا"، أجاب الضابط: "لا أستطيع أن أفعل ذلك"، قال يوجين سو: "في هذه الحالة، أكمل جرائمك، نحن نطالبك باعتقالنا أيضًا"، وقام الضابط بالفعل بإلقاء القبض عليهم، وتم نقلهم إلى مقر الحراسة التابع لوزارة الخارجية، وبعد ذلك إلى ثكنات كواي دي أورساي، ولم يحدث ذلك إلا الليل حين جاءت فرقتان من الفيلق لنقلهما إلى مثواهما الأخير، وأثناء وضعهم بين جنوده، انحنى الضابط القائد إلى الأرض، وقال بأدب: "أيها السادة، بنادق رجالي معبأة، لا داعي للمقاومة".

لقد تم تطهير القاعة، كما قلنا، بطريقة غير منظمة، حيث قام الجنود بدفع النواب أمامهم عبر جميع المنافذ، لكن بعضهم، ومن بينهم هؤلاء الذين تحدثنا عنهم للتو، خرجوا من شارع بورغون، وتم جر آخرين عبر قاعة بابيردوس باتجاه الباب المصفح المقابل لجسر الكونكورد.

قاعة بابيردوس تحتوي على غرفة انتظار، وهي عبارة عن غرفة متقاطعة، يُفتح عليها درج الهاي تريبون، والعديد من الأبواب، من بين أبواب أخرى، الباب الزجاجي الكبير للمعرض الذي يؤدي إلى شقق رئيس الجمعية، وبمجرد وصولهم إلى هذه الغرفة المتقاطعة المجاورة للبهو الصغير، حيث يوجد الباب الجانبي للخروج إلى القصر، أطلق الجنود سراح النواب، وهناك، بعد لحظات قليلة، تم تشكيل مجموعة، بدأ فيها النائبان كانيه وفافريو بالتحدث، وتصاعدت صيحة عالية: "دعونا نبحث عن دوبان، دعونا نسحبه إلى هنا إذا لزم الأمر".

فتحوا الباب الزجاجي واندفعوا إلى المعرض، هذه المرة كان السيد دوبان في المنزل، بعد أن علم السيد دوبان أن رجال الدرك قد أخلوا القاعة، خرج من مخبئه، فانحنى له نواب الجمعية، بينما وقف دوبان منتصبًا، فبعد أن أصبح القانون سجينًا، شعر هذا الرجل بأنه قد تحرر. مجموعة النواب بقيادة السيد كانيه وفافريو

وجدوه في مكتبه، هناك تلا ذلك حوار، واستدعى النواب الرئيس ليضع نفسه على رأسهم، ويعود معهم إلى القاعة، فهو رجل المجلس، ومعه نواب الأمة.

لكن رفض السيد دوبان هذا الاقتراح رفضًا قاطعًا، وحافظ على موقفه، وكان حازمًا للغاية، وتمسك بشجاعة بعدم وجوده، وقال: "ماذا تريدوني أن أفعل؟" "وخلط مع احتجاجاته المنزعجة العديد من المصطلحات القانونية والاقتباسات اللاتينية بشكل غريزي، فهو من الأشخاص الذين يسكبون كل ثقافة مفرداتهم اللغوية عندما يكونون خائفين. قال لهم: "ماذا تريدون مني أن أفعل؟ من أنا؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟ أنا لا شيء.. لم يعد هناك أحد، ولا أي شيء، القوة هناك، حيثما توجد القوة قد يفقد الناس حقوقهم. لقد ولد نظام جديد، وعليكم تشكيل المسار الخاص بك وفقا لذلك. أنا مضطر للتقديم. القانون صعب، لكنه القانون، إنه قانون الضرورة الذي علينا أن نعترف به، ولكن ليس قانون الحق. ولكن ما الذي يجب عمله؟ أطلب منكم أن تتركوني وحدي، فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا، وسأفعل ما أستطيع، أنا لا أريد الاعتماد على حسن النية، لو كان لديّ عريف وأربعة رجال، لقتلتهم."، وقال النواب: "هذا الرجل لا يعترف إلا بالقوة، حسنًا، دعونا نستخدم القوة".

لقد استخدموا العنف تجاهه بالفعل، وربطوه بوشاح مثل حبل حول رقبته، وكما قالوا، جروه نحو القاعة، متوسلاً من أجل "حريته"، يئن، يركل – أود أن أقول مصارعة، إذا لم يتم تعظيم الكلمة كثيرًا، قاعة بابيردوس هذه، التي كانت قد شهدت للتو نوابًا يمرون في قبضة الدرك، ورأت السيد دوبان في قبضة النواب، ولم يذهبوا بعيدًا.

لقد أغلق الجنود الأبواب الخضراء الكبيرة القابلة للطي، وأسرع العقيد إسبيناس إلى هناك، وجاء قائد الدرك، كانت أطراف زوج من المسدسات تظهر من جيب القائد، كان العقيد شاحبًا، وكان القائد شاحبًا، وكان السيد دوبان غاضبًا. كان كلا الجانبين خائفين. كان السيد دوبان خائفًا من العقيد؛ من المؤكد أن الكولونيل لم يكن خائفًا من السيد دوبان، ولكن خلف هذا الشخص المضحك والبائس رأى شبحًا رهيبًا يبرز جريمته، فارتعد، يوجد في هوميروس مشهد يظهر فيه نيميسيس خلف تيرسيتس، وبقي السيد دوبان لبعض اللحظات في حالة ذهول وحيرة وعجز عن الكلام، فصاح به النائب غامبون قائلاً: "الآن، تحدث يا سيد دوبان، اليسار لا يقاطعك"، ثم مع عودة كلمات النواب، وحراب الجنود على صدره، تحدث الرجل التعيس.

ما قاله فمه في هذه اللحظة، وما تلعثم به رئيس مجلس السيادة الفرنسي أمام الدرك في هذه اللحظة الحرجة للغاية، لا يمكن لأحد أن يجمعه، أولئك الذين سمعوا الصيحات الأخيرة لهذا الجبن المحتضر سارعوا إلى تطهير آذانهم، ومع ذلك، يبدو أنه تمتم بشيء من هذا القبيل: "أنت تملك القوة، لديك حراب، بينما أنا أستحضر الحق وأتركك، يشرفني أن أتمنى لك يومًا سعيدًا." وذهب بعيدًا، وسمحوا له بالذهاب، وفي لحظة مغادرته، استدار وألقى بضع كلمات أخرى، لن نقدر على جمعها، فالتاريخ ليس لديه سلة يلقى بها الخرق!

الفصل التاسع: نهاية أسوأ من الموت

كان ينبغي لنا أن نكون سعداء لو وضعنا ذكره جانبًا، ولم نتحدث عنه مرة أخرى أبدًا، هذا الرجل الذي حمل هذا اللقب المشرف لمدة ثلاث سنوات، رئيس الجمعية الوطنية في فرنسا، والذي لم يعرف سوى كيف يكون تابعًا لأغلبية الشعب، لقد نجح في ساعته الأخيرة في الهبوط إلى مستوى أدنى مما كان يعتقد أنه ممكن حتى بالنسبة له، كانت حياته المهنية في الجمعية بمثابة خادم، وكانت نهايته نهاية خادم، إن الموقف غير المسبوق الذي اتخذه السيد دوبان أمام رجال الدرك عندما نطق بسخرية من الاحتجاج، وقد ولّد الشك، صاح غامبيون: "إنه يقاوم كشريك، كان يعرف كل شيء"، ونعتقد أن هذه الشكوك غير عادلة، فلم يكن السيد دوبان يعرف شيئًا عن الانقلاب، فمن من بين منظمي الانقلاب كان سيتحمل عناء التأكد من انضمامه إليهم؟

السيد الفاسد دوبان! هل كان ذلك ممكنًا؟ وعلاوة على ذلك، لأي غرض؟ ليدفع له المال؟ لماذا؟ سيكون إهدارًا للمال عندما يكون الخوف وحده كافيًا لاجتذابه. يتم تأمين بعض التواطؤات قبل أن يتم البحث عنها، الجبن هو الستار القديم على الجناية،

يتم مسح دم القانون بسرعة خلف القاتل الذي يحمل الحصان، ليأتي البائس المرتعش الذي يحمل الإسفنجة.

ثم لجأ دوبان إلى مكتبه، وقد تبعوه إلى هناك، "يا إلهي!"، بكى قائلاً: "ألا يستطيعون أن يفهموا أنني أريد أن أترك بسلام"، في الحقيقة، لقد عذبوه منذ الصباح حتى ينتزعوا منه قدرًا مستحيلًا من الشجاعة، وقال لهم: "إنكم تُعاملونني بطريقة أسوأ من معاملة الدرك"، وجلس النواب في مكتبه، وجلسوا على طاولته، وبينما كان يئن ويوبخ على كرسي بذراعين، وأعدوا تقريرًا رسميًا عما حدث للتو، حيث كانوا يرغبون في ترك سجل رسمي للاعتداء في المحفوظات، وعندما انتهى التقرير الرسمي، قرأه الممثل كانيه على الرئيس وقدم له قلمًا، "ماذا تريد مني أن أفعل بهذا؟" سأل دوبان، فأجاب كانيه: "أنت الرئيس، وهذه جلستنا الأخيرة، ومن واجبك التوقيع على التقرير الرسمي."، لكن الرجل رفض هذا.

الفصل العاشر: الباب الأسود

السيد دوبان هو وصمة عار لا مثيل لها، وفي وقت لاحق حصل على ترقيته، ويبدو أنه أصبح نوعًا من النائب العام في محكمة الاستئناف، يقدم السيد دوبان للويس بونابرت خدمة أن يكون في مكانه أحقر الرجال، لمواصلة هذا التاريخ الكئيب، نواب اليمين، في أول حيرتهم التي أحدثها الانقلاب، أسرعوا بأعداد كبيرة إلى السيد دارو، الذي كان نائب رئيس الجمعية، وفي نفس الوقت أحد رؤساء نادي الهرم، لقد دعمت هذه الجمعية دائمًا سياسة الإليزيه، ولكن دون الاعتقاد بأن الانقلاب كان متعمدًا.

دارو كان يسكن في المبنى رقم ٧٥، شارع ليل، وفي حوالي الساعة العاشرة صباحًا، اجتمع حوالي مائة من هؤلاء النواب في منزل السيد دارو، وعقدوا العزم على محاولة اقتحام القاعة التي يعقد فيها المجلس جلساته، ينفتح شارع ليل على شارع بورغون، مقابل الباب الصغير الذي يتم الدخول منه إلى القصر، والذي يسمى الباب الأسود، تحولوا بخطواتهم نحو هذا الباب، وكان السيد دارو على رأسهم. ساروا جنبًا إلى جنب وثلاثة في كل صف، وكان بعضهم قد ارتدى حجابه الرسمي، الذي سيخلعوه في وقت لاحق.

الباب الأسود، نصف مفتوح كالعادة، كان يحرسه حارسان فقط، اندفع بعض الأشخاص الأكثر سخطًا، ومن بينهم السيد دي كيردريل، نحو هذا الباب وحاولوا المرور، ومع ذلك، تم إغلاق الباب بعنف، ونشأ بين النواب وضباط المدينة الذين أسرعوا، نوع من الصراع، حيث أصيب أحد النواب بالتواء في معصمه، في الوقت نفسه، تحركت الكتيبة التي تم تشكيلها في ساحة بورغون، وجاءت في اتجاه مزدوج باتجاه مجموعة النواب، السيد دارو كان فخمًا وحازمًا، أمر القائد بالتوقف؛ فتوقفت الكتيبة، ودعا دارو باسم الدستور، وبصفته نائب رئيس الجمعية، الجنود لإلقاء أسلحتهم، وإعطاء حرية المرور لممثلي الشعب صاحب السيادة، ورد قائد الكتيبة آمرًا بإخلاء الشارع فورًا معلنًا أنه لم يعد هناك مجلس؛ وأنه بالنسبة له فهو لا يعرف من هم نواب الشعب، وأنه إذا لم يتقاعد من قبله من تلقاء أنفسهم فسوف يطردهم بالقوة.

وقال السيد دارو: "لن نستسلم بإرادتنا"، وأضاف السيد دي كيردريل: "أنت ترتكب الخيانة العظمى"، فأعطى الضابط الأمر بالهجوم، وتقدم الجنود بترتيب منسق، وكانت هناك لحظة من الارتباك، وأوشك حدوث الالتحام، وتم طرد النواب بالقوة، وانحسروا في شارع ليل، وسقط بعضهم، ودحرج الجنود العديد من

أعضاء اليمين في الوحل، وتلقى أحدهم، السيد إتيان، ضربة على كتفه من مؤخرة بندقية.

يمكننا أن نضيف هنا أنه بعد مرور أسبوع، كان السيد إتيان عضوًا في تلك اللجنة التي أطلقوا عليها اسم اللجنة الاستشارية، لقد وجد الانقلاب فيه مصلحة له، بما في ذلك الضربة بعقب البندقية، عادوا إلى منزل السيد دارو، وفي الطريق اجتمعت المجموعة المتناثرة من جديد، بل وتعززت قوتها ببعض القادمين الجدد، قال السيد دارو: "أيها السادة، لقد خذلنا الرئيس، والقاعة مغلقة في وجهنا، أنا نائب الرئيس، وبيتي هو قصر الجمعية"، وفتح غرفة كبيرة، وهناك تمركز ممثلو اليمين.

في البداية كانت المناقشات صاخبة إلى حد ما، وكان شارع دي ليل يمتلئ بالقوات وكان المنزل محاصرًا، لم يكن هناك لحظة لتضييعها، قال السيد بينويست دازي: "أيها السادة، دعونا نذهب إلى بلدية الدائرة العاشرة؛ وهناك سنكون قادرين على التداول تحت حماية الفيلق العاشر، الذي يوجد به زميلنا الجنرال لوريستون عقيدًا فيه"، وكان لمنزل السيد دارو مدخل خلفي عن طريق باب صغير يقع في أسفل الحديقة، لقد خرج معظم النواب بهذه الطريقة، وكان السيد دارو على وشك أن يتبعهم، حيث لم يبق في الغرفة سوى نفسه، والسيد أوديلون بارو، واثنان أو ثلاثة آخرون،

وعندما فُتح الباب، دخل نقيب وقال للسيد دارو: "سيدي، أنت سجيني". سأل دارو: "إلى أين سأتبعك؟" قال النقيب: "لدي أوامر باحتجازك في منزلك."

وفي الحقيقة، كان المنزل محتلاً عسكريًا، مما أدى إلى منع السيد دارو من المشاركة في الجلسة التي أقيمت في بلدية الدائرة العاشرة، وسمح الضابط للسيد أوديلون بارو بالخروج.

الفصل الحادي عشر: محكمة العدل العليا

بينما كان كل هذا يحدث على الضفة اليسرى للنهر، في وقت الظهيرة، شوهد رجل يمشي صعودًا وهبوطًا في قاعة با بيردوس العظيمة بقصر العدل، يبدو أن هذا الرجل، الذي كان يرتدي معطفًا مطرزًا بعناية، كان يرافقه على مسافة عدة مؤيدين محتملين، لأن بعض مؤسسات الشرطة تستخدم مساعدين يجعل مظهرهم المريب المارة غير مرتاحين، لدرجة أنهم يتساءلون عما إذا كانوا قضاة أم لصوصًا، كان الرجل الذي يرتدي المعطف ذو الأزرار يتسكع من باب إلى باب، ومن ردهة إلى ردهة، ويتبادل علامات الذكاء مع الميرميدون الذين تبعوه؛ ثم عاد إلى القاعة الكبرى، وتوقف في الطريق أمام المحامين، والمحاميات، والمرشدين، والكتبة، والحاضرين، وكرر للجميع بصوت منخفض، حتى لا يسمع المارة، نفس السؤال.

على هذا السؤال أجاب البعض بـ "نعم"، وأجاب البعض الآخر بـ "لا"، وبدأ الرجل في العمل مرة أخرى، متجولًا حول قصر العدل بمظهر كلب صيد يبحث عن الأثر، كان مفوضًا لشرطة أرسنال، ماذا كان يبحث عنه؟ محكمة العدل العليا. ماذا فعلت محكمة العدل العليا؟ كانت تنعقد. لماذا؟ للحكم في القضايا؟ نعم و لا.

تلقى مفوض شرطة أرسنال في ذلك الصباح أمرًا من المحافظ موباس بالبحث في كل مكان عن المكان الذي يمكن أن تنعقد فيه محكمة العدل العليا، إذا اعتقدت أنه من واجبها الاجتماع، خالطًا بين المحكمة العليا ومجلس الدولة، ذهب مفوض الشرطة أولاً إلى موای دي أورساي، ولما لم يجد شيئًا، ولا حتى مجلس الدولة، خرج خالي الوفاض، ووجه خطواته على أية حال نحو قصر العدل، معتقدًا أنه بما أنه كان عليه أن يبحث عن العدالة، فربما يجدها هناك، ولما لم يجدها، ذهب بعيدًا.

ومع ذلك، فقد اجتمعت المحكمة العليا على أية حال، أين وكيف؟ سوف نرى.

في الفترة التي نؤرخها الآن، قبل إعادة البناء الحالية للمباني القديمة في باريس، عندما تم الوصول إلى قصر العدل عن طريق كور دي هارلي، كان هناك درج متهالك يؤدي إلى هناك عن طريق التحول إلى ممر طويل يسمى جاليري ميرسيير. وفي وسط هذا الممر كان هناك بابان؛ أحدهما على اليمين أدى إلى محكمة الاستئناف والآخر على اليسار أدى إلى محكمة التمييز، تفتح الأبواب القابلة للطي إلى اليسار على معرض قديم يُدعى سانت لويس، تم ترميمه مؤخرًا، والذي يُستخدم في الوقت الحالي لقاعة دي با بيردو، لمحاميي محكمة النقض.

كان هناك تمثال خشبي لسانت لويس مقابل باب المدخل، يؤدي المدخل المصمم في كوة على يمين هذا التمثال إلى ردهة متعرجة تنتهي بما يشبه الممر الأعمى، والذي يبدو أنه كان مغلقًا ببابين مزدوجين، على الباب الموجود على اليمين يمكن قراءة عبارة "غرفة الرئيس الأول"؛ وعلى الباب الذي على اليسار عبارة "قاعة المجلس"، وبين هذين البابين، وللتسهيل على المحامين المتجهين من القاعة إلى الغرفة المدنية، التي كانت في السابق الغرفة الكبرى للبرلمان، تم تشكيل ممر ضيق ومظلم، حيث، كما علق أحدهم قائلًا "أي جريمة ترتكب هنا ستمر من دون عقاب". بالخروج من غرفة الرئيس الأول وفتح الباب الذي كتب عليه "قاعة المجلس"، وعبور غرفة كبيرة مفروشة بطاولة ضخمة على شكل حدوة حصان، ومحاطة بالكراسي الخضراء، وفي نهاية هذه الغرفة، التي كانت في عام ١٧٩٣ بمثابة قاعة مداولات لهيئة المحلفين في المحكمة الثورية، كان هناك باب موضوع في اللوح الخشبي، يؤدي إلى ردهة صغيرة حيث كان هناك بابان، على اليمين باب الغرفة الخاصة برئيس الغرفة الجنائية، على يسار باب غرفة المرطبات عبارة "محكوم عليه بالإعدام! – فلنذهب الآن ونتناول العشاء!" لقد تعارضت هاتان الفكرتان، الموت والعشاء، ضد بعضهما البعض لعدة قرون.

باب ثالث أغلق طرف هذا الردهة، كان هذا الباب، إذا جاز التعبير، آخر باب في قصر العدل، وأبعدها، وأقلها شهرة، وأكثرها سرية؛ وينفتح على ما كان يسمى مكتبة محكمة النقض، وهي غرفة مربعة كبيرة مضاءة بنافذتين تطلان على الفناء الداخلي الكبير للكونسيرجي، ومجهزة بعدد قليل من الكراسي الجلدية، وطاولة كبيرة مغطاة بقطعة قماش خضراء، وبها كتب القانون تبطين الجدران من الأرض إلى السقف، هذه الغرفة، كما يمكن رؤيتها، هي الأكثر عزلة وأكثر خفاء من أي غرفة في القصر.

لقد وصل هنا، في هذه الغرفة على التوالي، في الثاني من ديسمبر، نحو الساعة الحادية عشرة صباحًا، العديد من الرجال الذين يرتدون ملابس سوداء، بدون أردية، وبدون شارات رسمية، مذعورين، حائرين، يهزون رؤوسهم، و يهمسون معًا، هؤلاء الرجال المرتجفون هم محكمة العدل العليا، وتتكون محكمة العدل العليا، وفقاً لأحكام الدستور، من سبعة قضاة؛ رئيس وأربعة قضاة ومساعدان تختارهم محكمة التمييز من بين أعضائها وتجدد كل سنة، وفي ديسمبر ١٨٥١، تم تسمية هؤلاء القضاة السبعة بأردوين، وباتاي، ومورو، وديلابالم، وكوشي، وغراندیت، وكويسنو، وكان آخرهما مساعدين، هؤلاء الرجال، غير معروفين تقريبًا، ومع ذلك كان لديهم بعض الخلفيات القانونية السابقة.

كان السيد كوشي، قبل بضع سنوات، رئيسًا لغرفة الديوان الملكي في باريس، وهو رجل ودود ويسهل إخافته، وكان شقيقًا لعالم رياضيات، وعضو بالمعهد الذي ندين له بحساب موجات الصوت، وكان أيضًا شقيقًا للمسئول السابق عن أرشيف غرفة النبلاء.

وكان السيد ديلابالم قد تولى منصب المدعي العام وقام بدور بارز في محاكمات الصحافة في ظل استعادة السلطة؛ وكان السيد باتيل نائبًا للمركز في فترة الحكم الملكي المعروفة بالملكية الجديدة، وكان السيد مورو (دي لا سين) جديرًا بالملاحظة، حيث كان يُلقب بـ "دي لا سين" لتمييزه عن السيد مورو (دي لا ميورث)، الذي كان من جانبه جديرًا بالملاحظة أيضًا، حيث كان يلقب بـ "دي لا ميرث" لتمييزه عن السيد "دي لا سين".

وكان المساعد الأول، السيد غراندیت، رئيساً للغرفة في باريس، وقد قرأت هذا المديح عنه: "من المعروف أنه محايد جدًا، ولا يمتلك أي رأي خاص به على الإطلاق"، أما المساعد الثاني السيد كوسنولت، فهو ليبرالي، نائب، موظف عمومي، محامٍ عام، محافظ، عالم، مطيع، قد وصل من خلال جمعه لكل من هذه الصفات، كنقطة انطلاق له إلى الغرفة الجنائية لمحكمة النقض، حيث عُرف بأنه من أكثر الأعضاء شدة، وقد صدمت أحداث عام

١٨٤٨ مفهومه عن الحق، فاستقال بعد ٢٤ فبراير؛ ولم يستقيل بعد ٢ ديسمبر.

كان السيد هاردوين، الذي ترأس المحكمة العليا، رئيسًا سابقًا لمحكمة الجنايات، وهو رجل دين جانسيني قوي، يُشار إليه بين زملائه على أنه " قاض دقيق الضمير"، وهو يعيش في بورت رويال، وهو قارئ مجتهد لنيكول، وينتمي إلى عرق البرلمانيين القدامى في ماريه، الذين اعتادوا الذهاب إلى قصر العدل راكبين بغلًا؛ لقد أصبح البغل الآن عتيق الطراز، ومن زار الرئيس أردوين لم يجد في إسطبله عنادًا أكثر مما يجده في ضميره.

في صباح الثاني من ديسمبر، في الساعة التاسعة صباحًا، صعد رجلان درج منزل السيد هاردوين، رقم ١٠، شارع كوندي، واجتمعا معًا عند باب منزله، كان أحدهما السيد باتاي، والآخر، وهو أحد أبرز أعضاء نقابة المحامين في محكمة النقض، كان النائب السابق مارتن (من ستراسبورغ)، كان السيد باتاي قد وضع نفسه للتو تحت تصرف السيد هاردوين، كان أول ما فكر فيه مارتن، أثناء قراءة لافتات الانقلاب، هو المحكمة العليا.

أدخل السيد هاردوين السيد باتاي إلى غرفة مجاورة لمكتبه، واستقبل مارتن (من ستراسبورغ) كرجل لم يرغب في التحدث معه أمام الشهود، وعندما طلب منه مارتن (من ستراسبورغ) رسميًا عقد

المحكمة العليا، توسل إليه أن يتركه وشأنه، وأعلن أن المحكمة العليا "ستقوم بواجبها"، ولكن يجب عليه أولاً "التشاور مع زملائه"، واختتم كلامه بما يلي: هذه العبارة: "يكون ذلك اليوم أو غدًا.

"اليوم أو غدا!" صاح مارتن (من ستراسبورغ)؛ "سيدي الرئيس، سلامة الجمهورية، سلامة البلاد، ربما تعتمد على ما ستفعله أو لا تفعله المحكمة العليا، مسؤوليتك كبيرة، ضع ذلك في الاعتبار، محكمة العدل العليا لا تقوم بدورها اليوم أو غدًا؛ فهي تقوم بذلك مرة واحدة، في هذه اللحظة، دون أن تضيع دقيقة واحدة، ودون تردد لحظة واحدة."

لقد كان مارتن (من ستراسبورغ) على حق، فالعدالة تنتمي دائمًا إلى اليوم، وأضاف مارتن (من ستراسبورغ): "إذا كنت تريد رجلاً للعمل النشط، فأنا في خدمتك"، رفض السيد هاواردين العرض، وأعلن أنه لن يضيع لحظة، وتوسل إلى مارتن (من ستراسبورغ) أن يتركه "للتشاور" مع زميله السيد باتاي، وبالفعل فقد دعا إلى انعقاد المحكمة العليا في الساعة الحادية عشرة، واتفق على أن يكون الاجتماع في قاعة المكتبة، وكان القضاة دقيقين، وفي الساعة الحادية عشرة والربع اجتمعوا جميعاً. وصل السيد باتيل آخرهم. جلسوا في نهاية الطاولة الخضراء الكبيرة.

-- نهاية الجزء الأول --

الفهرس

مقدمة الترجمة	١
الفصل الأول: الكمين	٦
الفصل الثاني: باريس تنام– الجرس يدق	١٣
الفصل الثالث: ماذا حدث أثناء الليل	١٧
الفصل الرابع: أعمال أخرى في الليل	٤٤
الفصل الخامس: ظلام الجريمة	٤٨
الفصل السادس: لافتات	٥١
الفصل السابع: المبنى رقم ٧٠ شارع بلانش	٥٧
الفصل الثامن: انتهاك حرمة البرلمان	٧٠
الفصل التاسع: نهاية أسوأ من الموت	٨٦
الفصل العاشر: الباب الأسود	٨٨
الفصل الحادي عشر: محكمة العدل العليا	٩٢